ومرامي النار وصفّها على الاسوار . ونصب في قمة اكبر مشرف من مشارفه آلات مخينة يمكن تصويبها الى الغرض كما يُصوَّب المدفع فتقذف الى مدى بعيد نبالًا طويلة وقضبانًا من الحديد المحمى وسهامًا محرقة الى غير ذلك من وسائل الهلاك (١

وكان قد اختُرع البارود والمدفع من زمان قريب فأدخلهما سلاطين مصر في جيشهم (٢ الّا انّ هذا الاختراع الحديث لم يكن قد وصل بعدُ الى جبل اللكام ولا كان جوسلين يعرف منهُ شيئًا الّا بالسمع والخبر . وكان قد اقام الرقباء ليلًا ونهارًا في أعلى البرج المشرف على الجسر النقّال الذي يوصل الى القلعة فكانوا يسهرون فيه دائمًا ملاحظين كل حركة تجري وكان هو ايضًا لكثرة اهتمامه واشتغال باله لا يفتكر بشيء من أنواع القصف واللهو والقنص التي كان يصرف فيها قبلًا معظم اوقاته بل كان يدور القصر على عدد الساعات متفقدًا أحوالهُ ومحرضًا المشتغلين في ترميم أسواره على مزيد النشاط في إصلاحها . وكان يراقب ايضًا ادخال المؤَن والأقوات ويسهر على الخفر ويلاحظ كل شيء من كبير وصغير وبالجملة فقد كان يستعد للقيام بحصار طويل

ولا ريب ان خوفهُ من العقاب الذي كان يتوقّعهُ ويشعر بانهُ كان مستأهلًا لهُ كل الاستيهال قد بدّل حالهُ تبديلًا تامًا وبعد ان كان حليف خلاعة وفجور صار آيةً في النشاط والعمل حتى تعذرت معرفتهُ على رفقائه الذين ما كانوا يشاهدونهُ الّا والخوذة في رأسه والدرع على بدنهِ وهو يحرّض النفعة على الجدّ والخفر على الانتباه والسهر

على انّ الحامية القليلة المقيمة في القليعة كرهت هذه الحال وبدأت تتشكّى من وقوفها الدائم موقف الحرب والقتال وكانت كل يوم تزيد نقصًا بالفارين من بين صفوفها . وفي اثناء ذلك كان اهل الجيرة ايضًا يزيدون تظاهرًا بعداء جوسلين على قدر زيادة ضعفه وضوحًا وأخذ القوم العديدون الذين ذاقوا طعم عسفهِ ينذرون بقرب سقوطهِ ويطالبونهُ بردّ الاملاك التي غصبهم أياها ظلمًا وعدوانًا وأخذ النصيريّة والاسماعيلية يهجمون بلا تهيّب على أراضيهِ وأملاكهِ وينهبونها أمام عينيهِ وهو عاجز عن ان ينالهم بسوء (ستأتي البقيّة)

---

١) راجع تأليف « راي » في المستعمرات الشرقية

٢) صبح الاعشى للقلقشندي

مطبوعات شرقية جديدة

DIWAN AUS CENTRALARABIEN
gesammelt, übersetzt u. erlautert von A. Socin
III Theil : Einleitung, Glossar u. Indices, Leipzig 1901

ديوان العرب في اواسط جزيرة العرب (الجزء الثالث)

ما مضى على المشرق سنة (١٣٢:٣) منذ اعلن بنشر الجزئين الاولين من هذا التأليف النفيس وعرَّف فضل صاحبه فقيد الدروس الشرقية المعلم الشهير البرت سوسين. وهذا الجزء الثالث ختام المجموع يبلغ عدد صفحاته ٣٥٠ صفحة من قطع الثمن. ضمَّنهُ صاحبهُ ابحاثاً عديدة عن شعر العرب الحالي في بلاد نجد ممَّا جمعهُ المؤلف نفسهُ او توصَّل اليهِ غيرهُ من المستشرقين (ص١—٤٥) فيقابل بين هذه القصائد من اللغة العاميَّة ويبيّن اوزانها وخواصَّها (ص٤٦—٦٩) ثمَّ يلحق ذلك بمقالة مطوَّلة عن لهجة العرب في بلاد نجد وما تختلف بهِ عن اللغة الصحيحة وعن لهجات غيرها من البلاد العربيَّة. والحق يقال ان من يطالع هذا الكتاب يأخذهُ العجب من سعة معارف المؤلف فانَّهُ لا يترك باباً الّا يطرقهُ لعلهُ يفيد بذلك العلماء او ينهج لهم طريقاً يسلكونها بعدهُ. وكنا نودّ لو استطاع ادباء شرقنا العزيز مطالعة هذا التأليف المكتوب بالالمانيَّة ليتحققوا باي جدّ وتنقيب يثابر المستشرقون على الدروس الشرقيَّة لا يباشرون بالكتابة في بحث منها الّا بعد مطالعتهم كلّ ما كتبهُ السلف في هذا الصدد ثمَّ تراهم يدخلون الميدان ويجارون من سبقهم فيصادقون على ما يستحسنونهُ ويزيّفون ما لم يستصوبوا ويأتون برأيهم ويؤيدونهُ بالبراهين اللامعة واذا عثروا على مشكل لم يمكنهم حلّهُ اقرُّوا بجهلهم ببساطة وطلبوا المساعدة من غيرهم لا يرون في ذلك بخساً في حقّهم ويثبتون قول بعض علماء العرب « انَّ لا ادري من العلم »

ومن الافادات التي يستخلصها القراء من هذا التأليف انَّ عرب بلاد نجد لا يجرون على قواعد الإعراب ولا يحركون أواخر الالفاظ بالحركات الثلاث كما زعم بعض الروَّاد الذين لم يدقّقوا البحث في ذلك. والمعلّم سوسين يُثبت ان لهجة العرب في نجد ليست بافضل من لهجة بلاد الشام او بلاد مصر من حيث تركيب الجمل وصوغ المفردات.

نعم اننا لا نوافق صاحب الكتاب في كلّ مزاعمه ولكننا نقرُّ انَّ المعلم سوسين لا يأتي برأي دون حجج وما يزيدنا في قوله ثقةً انهُ ينبه مرارًا العلماء على ما لا يراهُ ثابتًا راهنًا. وقد ختم كتابهُ بمعجم لالفاظ بلاد نجد مع شرحها وألحقهُ بفهارس تسهل مراجعة الاجزاء الثلاثة ه.ل

كتاب الاصول الابتدائية الموسيقية

تأليف انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو

Principes élémentaires de musique

طُبع في اورشليم في مطبعة ج.ح.حنانيا. سنة ١٩٠١ (ص ٦٦)

انَّ الكتب التي تبحث عن الاصول الموسيقيَّة في لغتنا لنادرة جدًّا لا نعرف منها سوى تطريب الآذان في صناعة الالحان صنَّفهُ الدكتور ادون لويس منذ ٢٥ سنة. واليوم قد اتحفنا حضرة الاب انجلو بورميدا من جمعيَّة دون بوسكو كتابًا في هذا الموضوع ضمَّنهُ كلَّ ما من شأنهِ ان يقرّب للاحداث معرفة فن الموسيقى وذلك باللغتين الفرنسيَّة والعربيَّة. وقد قسم تأليفهُ الى قسمَين بحث في الاول منهما عن الموسيقى وعلاماتها ومفاتيحها وايقاعها وازمنتها ودواوينها وما يلحق بذلك. امَّا القسم الثاني فمدارهُ على القواعد العمليَّة للبستون والباريتون وغيرهما من آلات النفخ مع عدَّة تمارين ليرتاض بها الطلبة. وقد أُحكم طبع الكتاب فجاء تأليفًا مدرسيًّا تامَّ الاهبة جزيل الافادة

مجلة التاريخ الكنسي

Revue d'Histoire Ecclésiastique, Louvain, 1900
dirigée par MM. A. Cauchie et P. Ladeuze

هذه مجلة جديدة انشأها الكاثوليك في بلجيكا السنة المنصرمة تصفَّحنا منها بعض أعدادها فوجدناها احسن مجلَّة في بابها أودعها اكبر العلماء مقالات غاية في الاهميَّة يبحثون فيها عن كل المسائل العويصة ويميطون عنها قناع اللَّبس والضلال. وهذه المجلة تصدر اربع مرات في السنة ينيف عدد صفحاتها سنويًّا على ٨٠٠ صفحة. ومن انفع ما جاء في هذه المجلَّة انَّها تفيد القرّاء عن كلّ ما يُكتب في العالم من الكتب والمقالات المختصة بتاريخ الكنيسة ل.ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

اهدانا جناب الدكتور النطاسي ألفرد عيد صاحب مجلة طبيب العائلة نسخة من مقالاته الطبيَّة التي قدَّمهـا لمؤتمر الطب في باريس ولمدَّة جمعيَّات علميَّة فاصابت الاستحسان. وقد مرَّ ذكر بعضها في المشرق

شَذَرَاتٌ

اصلاح كنا في مقالتنا عن سيدة النجاة (المشرق ٤ : ٨١٨) نقلنا عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ١٨١) ما جاء فيه عن بيت الجميـل وبنائهم كنيسة مار عبدا في قرية بكفيَّا وقد ألحق العلاَّمة المؤلف قولهُ بما نصهُ : « ثمَّ انشأ الخوري عيسى من بيت الخرَّاط كنيسة للملكيَّة في القرية المذكورة » فاستنتجنا من ذلك ان الخوري المذكور كان من الطائفة الملكيَّة. وهذا غلط لانَّ بيت الخراط موارنة ابًا عن جدّ تاريخهم معروف. وان اعترض احد على قولنا بانَّ بناء كنيسة للملكيَّة يدلّ على ان الخوري عيسى كان ملكيًّا اجبنا انَّ في نصّ الدويهي غلطةً طبعيَّة وانما اراد « كنيسة الملكة » لا « كنيسة الملكيَّة » والدليل على ذلك ما جاء في نصّ آخر من التاريخ عينهِ (ص ٢٠٣) قال الدويهيّ : « وفيها (سنة ١٦٣٢) عُني الشيخ ابو عماد ابن الجميـل مع مساعدة اهل بكفيَّا فهدم كنيسة مار عبدا في القرية المذكورة وعقدها قبوًا. وكذلك القس بشاره من بيت الخرَّاط عُني ووسَّع كنيسة الملكة في قرية بكفيَّا » وكنيسة الملكة هذه هي الكنيسة المعروفة اليوم بكنيسة مار ميخائيل

المدافع والبَرَد بعد ان نشرنا في المشرق (٤ : ٨٢٨) مقالة الاب ر . ش في عمـل المدافع لمنع البَرَد قرأنا في المقتطف (ايلول ص ٨٦١) ما ينفي فائدة هذه المدافع. فتعجَّبنا من هذا التناقض لاسيما ان الاب ر . ش اتى بشواهد تثبت قولهُ. ثمَّ ما لبثت ان اتتنا مجلة « الطبيعة » الافرنسيَّة (٢٩ : ٥٧١) فصادقت على قولنا وبيَّنت فضل هذا الاكتشاف الجديد. ثمَّ اتتنا اعمال مؤتمر الظواهر الجويَّة فوجدنا مقالة ضافية الذيل لعالم يُعدّ حجَّةً في هذا الفنّ تبيّن الامر بحيث لا تبقي من بعدهِ شكًّا. فاقتضى التنبيه

زمن خلق آدم — امرأة قايين وقد قرأنا في عدد المقتطف ذاته (ص ٨٥٢) جوابًا على سؤال القاءهُ الخواجا رشيد ابو ريحان وهو «كم سنة من حين خلق الله آدم الى الان» فقال المقتطف بعد ذكره لتاريخ التوراة تبعًا لحسابات مختلفة ما حرفهُ: «ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة. وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدلُّ على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل انهُ وُجد قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين ولا يطمع العلماء ان يحلُّوا مسألتكم حلًّا علميًا مدقّقًا». فتعجبنا من تناقض صاحب المقتطف فبعد ان قال انَّ الآثار تنبئ بان الانسان عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة بل قبل ذلك الحين «بالوف كثيرة من السنين» زاد ان العلماء لا يطمعون في حلّ هذا المشكل أفليس بديهيًا انَّ المقتطف في جوابهِ هذا طمع في ما لم يطمع فيهِ العلماء وانهُ بذكرهِ ثمانية آلاف سنة بل «الوفًا كثيرة من السنين» لخلق آدم اجاب بما لم يعلم. أفما كان احرى بهِ ان يجيب كما اجبنا في المشرق سابقًا (٣: ٤١١) ان ليس للتوراة تاريخًا مقرّرًا وان تعيين زمن خلق الانسان الاوَّل من الامور المجهولة — وللمقتطف جواب آخر على من سألهُ (ص ٥٤٢): «من هي امرأة قايين» فاجاب بما يلقي الريب بكون آدم أبًا للجنس البشري فيكون فقط «فردًا من أفراد الناس او جدَّ القبيلة التي منها اليهود». وقد فنَّدنا هذا القول الباطل في عدد سابق من المشرق ردًّا على الهلال (راجع المشرق ٣: ١١٣٠ و ٤: ٩١١)

ظواهر فلكيَّة في ١٠ من تشرين الاول حدث اقتران الزهرة بالمريخ على مسافة درجة واحدة فقط. — وفي ٢٨ من الشهر الجاري سيحدث اقتران آخر وهو اقتران المشتري بزحل على مسافة نصف الدرجة. وهو حادث علمي غاية في الاهميَّة فان اقتران هاتين السيَّارتين على مسافة هكذا قريبة لم يحدث منذ سنة ١٦٨٣

وفي مساء الاحد الماضي ٢٧ تشرين الاول حدث خسوف جزئي للقمر. رآهُ اهل بيروت من الساعة ٥ الى ٢/١ ٦ — وفي ١١ من الشهر الجاري تُكسف الشمس كسوفًا حلقيًا يُرى جزء منهُ في بيروت. ويكون ابتداء هذا الكسوف الساعة ٢/١ ٧ صباحًا ومعظمهُ الساعة ٤/٣ ٩ يُحجب ثلثا قرص الشمس وانتهاؤهُ بعد الظهر بنصف ساعة

ابو الركب

قد فتك ابو الركب هذه السنة بسورية عموماً وبيروت خصوصاً فتكاً ذريعاً . فاغتنمنا هذه الفرصة لنثبت في المشرق قصيدًا صنَّفتهُ احدى السيدات الاديبات باللغة العاميَّة منذ عشر سنوات وهو يدلُّ على ذكاء قائلتهِ :

يا لطيف شو هَلبلشه ابو الركب صار ورشه
عزمني على الفرشه وحوَّل لي ادنه الطرشه
هلمغضوب ابو الركب

شوفوا فعاله هلمغضوب مركوبه دايم مغلوب
لو توصَّل لصبر ايوب لازم ما يبقى متعوب
من الم ابو الركب

يدخل في جسم الانسان حتى يصير مثل السكران
يبقى في حاله حيران بيقول يا ليتو ما كان
ولا سمعنا بابو الركب

هدّلي جسمي وحيلي ركابي وظهري يا ويلي
احوالي تبكّي العيله وما بقا لي ولا حيله
تا اخلص من ابو الركب

بدي ينقر في راسي نقر الظالم والقاسي
غامل روحي وانفاسي حتى اسناني واضراسي
خلخلهم ابو الركب

قمت اتمشى بوسط البيت واتوكا من حيط لحيط
تعبت وبالفرشه انحطيت وارحم منها ما لاقيت
من الظالم ابو الركب

وصفوا لي اشرب شربه الخروع ما حبه قلبي
بطلب للاثنين ضربه وادفنهم في فرد تربه
الخروع جنب ابو الركب

حزّنني مثل الزنار في وسطي داير متدار
رابط راسي بجدّر وجسمي من الضعف تغيّر
مغيّر من ابو الركب

كأنّه سم الحيّه نفث من سمه عليّ
ظهري وراسي ورجليّ صدري واعظام ايديّ
كسّرهم ابو الركب

ضعّفني ضعفه كبيره صرنا في همّ وحيره
خفتُه يعمل لي سيره والميشه بقيت قصيره
قصّرها ابو الركب

ما عاد لي ولا حرفه صار بدي منه الصرفه
قديش اوصافه قرفه ضيّق عليّ الغرفه
هلمقرود ابو الركب

موفّق في كاره مبخوت وما يخلّي ولا فرصه تفوت
بيدور في كل البيوت وبيقول لليبلومو اسكت
واترحّم عا ابو الركب

﴿ الاسيتيلين والبترول ﴾ قد اصلى الاسيتيلين في هذه السنة حربًا عوانًا على غاز البترول ليقوم مقامهُ في التنوير . وكانت المانية منتصرة لهُ لمناكسة البترول فانها منذ السنة المنصرمة اخذت تستعين بالاسيتيلين لانارة سككها الحديدية فانفقت ١٧٠٠٠ طن من كربور الكلسيوم لاستخراج الاسيتيلين وفي هذه السنة قد راج سوق الاسيتيلين وباعت المانية لغيرها من الدول كميّات وافرة لاسيما مذ اخترع العلماء آلات تستدرك اخطار انفجار الاسيتيلين حتى اصبح هذا الغاز مأمون الآفات كغاز الفحم الحجري بل آمن منهُ

﴿ الفحم الحجري ﴾ بلغ مجموع ما استُخرج منهُ من قلب الارض السنة المنصرمة ٦٢٧ مليون طن منها ٢١٨ مليونًا في الولايات المتحدة ثمَّ ٢١٢ مليونًا في انكلترة ثمَّ ١١٠ ملايين في المانية و٣٣ مليونًا في فرنسة الخ ويبلغ عدد الذين يعدّنونهُ نحو ٣٠٠٠٠٠ عامل

أسئلة وأجوبة

س سأل من دير برسنين حضرة رئيسهُ الاب طوبيا مبارك: ١ً اذا قدَّس كاهن في كأس قبل تكريسهِ هل يكرَّس بهذا التقديس. ٢ً ورد في كتاب اللاهوت ذكر « حوادث بلَّة العشاء » فما معنى « بلَّة العشاء »

تكريس الكاس — بلَّة العشاء

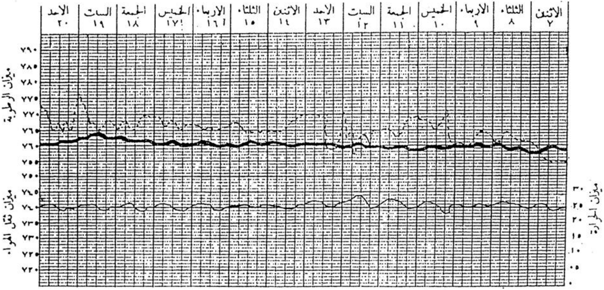
ج نجيب على (الاول) انَّ الكاهن الذي يستعمل الكأس قبل تكريسهِ من الاسقف يخطئ بذلك. ويصير الكأس آلةً متدَّسة لا يجوز اتخاذهُ لامور عالمية لكنَّهُ لم يكرَّس بهذا التقديس ولا بدَّ من تكريسهِ باقرب وقت. نجيب على (الثاني) ان « بلَّة العشاء » منشور بابويّ قديم دُعي بالعشاء (in Cœna Domini) لانهُ كان يقرأ سابقًا يوم خميس الاسرار الواقع فيهِ تذكار العشاء السرّي وهذا المنشور كان يحتوي الحروم القانونيَّة والتأديبات الكنسيَّة التي تعاقب بها الكنيسة الهراطقة والمتمرّدين على السلطة الدينيَّة وقد استخلص البابا بيوس التاسع خلاصة هذا المنشور فاودعهُ بلَّتهُ التي اوَّلها « Apostolicæ Sedis »

س وسأل ي. س. من ادباء البلد ما رأينا في كتاب قديم العهد ورد فيهِ تاريخ الامة المارونية اكتشفهُ الخوري الفاضل ميخائيل عبد الله غبريل فوصفهُ في الصفحة ٢٧ من كتابهِ المنشور حديثًا « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية »

تاريخ قديم للامة المارونية

ج راجعنا ما كتبهُ حضرة الخوري غبريل فلم نستفد من وصفهِ سوى ان الكتاب الذي اكتشفهُ قديم مرَّت عليهِ ايَّام طوال لا تاريخ لهُ ولا يعرف مؤلّفهُ وقد فُقد قسمٌ من اوّلهِ وآخرهِ. وهذا ليس بكافٍ لنجزم بقدم الكتاب او حدوثهِ. وانَّما راجعنا بعض قطع اقتطفها منهُ حضرة المؤلف فاثبتها في كتابهِ بحرفها الواحد على قولهِ (ص ٢٨—٣٧) فتحققنا بعد النظر انَّ الكتاب المكتشف مجموع حديث يظهر ذلك من عدَّة لوائح لا ندحة لنا في عرضها هنا ونكتفي ببرهان واحد وهو ان في جملة هذه القطع المقتطفة شهادةً (في الصفحة ٣١) من تاريخ بريسيوس وبريسيوس راهب كبوشي ترجم الى العربية في القرن السابع عشر مختصر تاريخ الكردينال بارونيوس فطبعهُ في رومة سنة ١٦٥٣—١٦٧١ فيكون اذن هذا التاريخ القديم حديث العهد

قائمة للآثار الجوية من ٧ الى ٢٠ تشرين الاول ١٩٠١



انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

المشرق

رسالة عقليّة

في وجود الباري تعالى وكمالاته واقانيمه

تأليف بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الملكي

توطئة

ليست هذه الرسالة اوّل اثر نرويه لبولس الراهب اسقف صيدا. فاننا في الجزء الاول من المشرق (ص٨٤٠) اثبتنا له رسالة ضمَّنها خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد وصدَّرنا تلك الرسالة ببعض افادات عن المؤلف وتصانيفهِ الفلسفيَّة واللاهوتية فعليك بالمراجعة. امَّا الرسالة التي نباشر اليوم نشرها فقد نقلناها عن نسختين احداهما كُتبت سنة ١٧٩٠ نصونها في خزانة كتبنا الشرقيَّة كتبها سليمان الصبَّاغ. امَّا الثانية فهي منقولة عن نسخة بخط الطبيب الأثر ابرهيم بن حنَّا ابن ميخائيل ابراهيم العوده الروم الكاثوليكيّ الملكي اتمَّها في تاريخ ٣٠ من شهر حزيران سنة ١٨٤٩ نقلًا عن نسخة قديمة تاريخها سنة ١٦٥٠. فقابلنا بين النسختين ودللنا على الزيادات التي في نسختنا بهذين المكّفين [ ] وعلى زيادات النسخة الثانية بهلالين « ». ولله الحمد　　ل. ش

الباب الاول

في وجود الباري تعالى

[الحمد لله الحي الحكيم. والقادر العليم. والجود الحليم. والرحمان الرحيم. منشئ كل شيء ومبديه. ومميت كلّ حيّ ومحييه. مُبدع المكان وموجدهُ. ومحدث الزمان ومُنفدهُ. الذي لا تحويه الامكنة والاقطار. ولا يغيّرهُ الليل والنهار. ولا تبليه الازمنة والادهار. نحمدهُ على ما اولانا من جميل آلائهِ. ونشكرهُ على ما اتانا بهِ من جزيل نعمائهِ

امَّا بعدُ فانني لمَّا ابتدأتُ باثبات ابواب تشتمل على معاني مختلفة ليزول بذلك ظن

من يظنُّ بنا ظنونًا لا حقيقة لها ويقول بقلّة خبرته برأينا اننا مُشركون وانَّ لا بصيرة لنا بديننا ولا حجّة لنا نبرهن بهـا عن نفوسنا. واذ كنت من العلم مفتقرًا ومن الذنوب مكتنزًا رأيتُ ان اجمل اول الكلام في وجود الباري تعالى حسبما امر به غريغوريوس المتكلّم في اللاهوت وذلك في قوله: اجمل الله بدء امرك وانتهاءَهُ]

« اننا معشر النصارى المؤمنين لمَّا علمنا » انَّ الشيء لا يتعبَّد للشيء ولا يخاف (؟) لهُ الَّا لاحدى ثلث خصـال وهي: امَّا مكافأةً على المعروف أُوتي اليه (١ وامَّا طلبَ جزاء فيما يستقبل [ولا هو يقدر] وامَّا ان يكون مجبورًا على خدمته (٢. ورأينا الشمس والقمر والكواكب والغيوم وسائر ما في الهواء وجميع ما ينتفع به الانسان من الارض وما عليها ليست محتاجة الى الانسان ولا طالبة منهُ جزاء فيما يستقبل. ولا هو يقدر ان يجبرها على خدمته (٣ فلمَّا لم تكن احدى هذه الثلث الخصال وجب ان يكون لها قاهر يجبرها (٤ على خدمة الانسان فبذلك استدللنا على وجود الباري « القاهر القادر على كلّ شيء. »

الباب الثاني

في قدم الباري وحدوثه (واحداثه) للعالم

وقلنا انهُ قديم ازلي محدث للعالم لما نشاهدهُ من ائتلاف المتضادَّات مثل النـار والماء والهواء والارض وتأليف الفلك من اجسام مختلفة النَّظم ومختلفة الحركات فدلَّ على ان ناظمًا تقدَّم فرتبهُ على ما هو عليه وان سابقًا سبقهُ واتقنهُ واحكم صنعتهُ لان كل صناعة ان لم يتقدَّمها موجدها (٥ والَّا كانت باطلة

الباب الثالث

في ان ليس للباري تعالى جسم (٦

وقلنا انهُ تعالى ليس بجسم لانهُ لو كان لهُ جسم لدخل بعض الحدود عليه التي يُحدُّ بها الجسم من الطول والعرض والعمق وغير ذلك. وايضًا لو كان جسمًا لشغل حيّزًا وقبل عرَضًا. ولو يشغل حيّزًا لحدَّهُ المكان

---

١) وفي احدى النسختين: على معروف أُسدي اليه ٢) ويروى: مخبرًا عن خدمته
٣) ويروى: يجزيها على خدمتها لهُ ٤) ويروى: يجزيها
٥) ويروى: موجودها وهو غلط ٦) ويروى: ليس الباري جسمًا

الباب الرابع

في ان الباري تعالى واحد

وقلنا انهُ واحد لا حد يحويه ولا نهاية تحصره لانهُ لو كان اكثر من واحد لوجب ان يكون احدهم معتزلًا عن الآخر. واعتزال الواحد عن الآخر يدلّ على انهُ محصور. وكل محصور محدود. وكل محدود لهُ ابتداء. وما لهُ ابتداء فمخلوق. والمخلوق ليس ازليًا لان الازلي لا يستقيم ان يكون اكثر من واحد

الباب الخامس

في ان الباري تعالى جوهر بسيط غير مركَّب

وقلنا انهُ جوهر لان ليس في الوجود شيء الَّا وهو امَّا جوهر وامَّا عرَض. وذلك انَّ ايَّ امر نظرنا فيه وجدناهُ امَّا قائمًا بذاته وهو الجوهر. وامَّا مفتقرًا في وجوده الى غيره وهو العرَض. ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسم ثالث. فاشرفهما القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر. ولمَّا كان الباري تعالى اشرف الموجودات اذ هو سبب سائرها وجب ان يكون اجلَّ الامور. واجلّ الامور واشرفها الجوهر. ولهذا قلنا انهُ جوهر لكنَّهُ ليس كالجواهر المخلوقة كما قلنا انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة ايضًا. والَّا لزم ان يكون قوامهُ بغيره ومفتقرًا في وجوده الى غيره. وهذا فمن القبيح ان يقال عن الباري تعالى انَّهُ عرَض ويجب ان يكون جوهرًا بسيطًا «نعم وأبسط البسائط لأنَّهُ الخالق للجواهر البسيطة» وبلا شك انهُ أبسط ممَّا هو فاعل لهُ. ولو انهُ كان مركَّبًا لكان غيرهُ ركَّبهُ. ولا يجوز ان يكون المركَّب هو المركِّب لذاته

الباب السادس

في ان للعالم ناظمًا اتقنهُ وهو يضبطهُ

ومن هنا لمَّا شاهدنا العالم مركَّبًا من طبائع مختلفة ومتحدًا من جواهر متباينات. ومنتظمًا من اشياء غير متشابهات. ولاجتماعه من اشياء مختلفة يسمَّى عالمًا لما فيه من التضادّ. ورأينا الفلك مختلف النظم ومختلف الحركات الذي يقال انهُ طبيعة خامسة لا حارَّة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة (١ علمنا ان غيرهُ اتقنهُ ونظمهُ وهو يضبطهُ يحول

---

١) هذا مبنيّ على اقاويل الاقدمين في طبيعة الافلاك وتركيبها لا يُعوَّل عليه اليوم

ولا يزول عمّا نظمهُ عليهِ (١ الى الوقت الذي يشاء مركّبهُ ومؤلفهُ

الباب السابع

في ان العالم قديم لا بقدم الباري تعالى (٢

ولمّا لم نعلم واحدًا قديمًا غير ذي جسم جوهرًا بسيطًا غير مركّب الّا الباري تعالى علمنا انهُ هو الذي نظّم العالم وانهُ لا يجوز ان يكون الختلف الطبائع المركّب من جواهر متباينة وأنواع مختلفة لا قديمًا بقدم الواحد البسيط النير مركّب الذي ليس هو جسمًا . فمن هذا الدليل ثبت انّ الباري تعالى [ليس جسمًا] قديمٌ ازلي لا ابتداء لهُ. وان العالم مُحدَث لهُ ابتداء. ومن لهُ ابتداء فلهُ ضرورةً انتهاء.

الباب الثامن

ردّ على من يقول من المتفلسفين ان الله والعالم كالنقرة والطنين (٣

وهذا يزيل رأي من يقول من المتفلسفين انّ العالم والباري تعالى كالنقرة والطنين(٤ وانما يتقدمهُ كما زعموا بالرتبة كالنقرة المتقدّمة للطنين (٥. ولو كان الباري تعالى كذلك وحاشا لعلوهِ لوجب ان يكون لهُ وللعالم باري اوجبهما كالناقر (٦ الموجب للنقرة والطنين (٧. فكان ذلك بلا شك الباري تعالى الذي لا يجب ان يكون لا قبلهُ ولا معهُ خالق آخر غيره. وقد يعلم كل احد انّ النقرة والطنين (٨ مفعولان ولهما فاعل « يتقدّمهما وهو الناقر كذلك العالم مفعول ولهُ فاعل » وهو الباري. ولا يجوز ان يكون الفاعل والمفعول معًا بل الفاعل يتقدم المفعول كالناقر (٩ المتقدم للنقرة والطنين (١٠

الباب التاسع

في ان ليس الحدوث بعد الامساك عند الباري عرَض

ثم انهم قالوا اعني المتفلسفين: انّ الحدوث بعد الامساك عرَض. ولذلك لم يوجبوا ان يكون الباري تعالى أحدث العالم بعد ان كان ممسكًا عنهُ. لانّ ذلك « كما زعموا » لا يخلو من احدى ثلث خصال وهي امّا ان يكون مانع كان يمنعهُ من حدوثهِ فلمّا زال المانع احدثهُ. او تكون حاجة دعتهُ اليهِ فاحدثهُ لحاجتهِ اليهِ. او انهُ كان مضطرًا

١) ويروى: اليهِ   ٢) ويروى: في انّ ليس العالم قديمًا بقدم الباري

٣) و ٤ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٠ ويُروى: الطين

٦) ويروى: كالنقرة   ٩) ويروى: كالنقر

اضطرّهُ غيرهُ فاحدثهُ اضطرارًا . فاذا كان العقل الذي هو مثل المحكّ والمعيار والعالم نفسهُ الموجب لاجتماعهِ من اشياء متضادة يوجبان على نفسهِ انهُ محدث ويحققان ذلك ويبرهنان عنهُ ببراهين عقليّة بقي ان نورد ما يبطل قول من يزعم انّ الحدوث بعد الامساك عرَض عند البارئ . ونقول انّ الحدوث بعد الامساك عرض عندنا نحن المخلوقين فامّا عند الاوّل الواحد الغير ذي جسم والغير مركّب البسيط فحكمةٌ لانهُ تعالى حكيم مريد فاوجدهُ بحكمتهِ وَقتَ أراد لِما أراد وغنيهِ وقتَ يريد كما يريد من حيث لا يدخل عليه عرَض . لانّ العرَض انما يدخل على الاجسام الكثيفة فامّا اللطائف(١ فما يدخل عليها عرَض لا ثابت ولا زائل . لانّ العرَض عرَضان عرَض ثابت وهو كسواد الغراب وبياض الثلج وفطسة الافطس وزرقة الازرق . وعرض زائل وهو صفرة الوجه وحمرة الخجل والقعود والقيام والنوم واليقظة وما يجري مجراه . فالبارئ سبحانهُ تعالى منزّهٌ عن الاعراض الثابتة والزائلة والكيفيّات والكميّات لانّ كل هذه تلزم الجواهر الكثيفة . وقد نرى الجواهر غير داخل عليها عرَض فكيف يقال انّ خالق الجواهر البسيطة والكثيفة والمركّبة يدخل عليه عرض حاشا لعزّتهِ وجلالتهِ من هذا القول

الباب العاشر

فيما يؤول اليهِ قول من يزعم ان البارئ تعالى لا يحدث شيئًا بعد ان كان ممسكًا عنهُ

وامّا ما يؤول اليه قول من يزعم انّ البارئ تعالى لا يحدث شيئًا بعد ان كان ممسكًا عنهُ فهو يوجب انّ البارئ لم يخلق العالم ولا آدم ولا ارسل طوفانًا ولا احدر نارًا على سادوم وعامورة ولا انقذ موسى النبي ولا انقذ بني اسرائيل من عبودية المصريين ولا بعث كلمتهُ السيد المسيح ولا ارسل نبيًّا ولا يرحم ولا يعاقب ولا يمطر ولا يقحط ولا يرخص ولا يغلّي ولا ينصر ولا يخذل ولا يحيي ولا يميت ولا ينشر ولا يحشر ولا لهُ تأثير في العالم لانّ هذا وما شاكلهُ حدوث بعد امساك . واذا كان ذلك كذلك والعياذ بالله فلا حاجة الى تمذهُب ولا الى صوم ولا الى صلاة ولا الى صدقة ولا الى رحمة ولا الى عدل ولا الى حفظ جناح لانّ هذا كلهُ وما شاكلهُ من الصلاح انّما يُطلب بهِ من الله تعالى الحدوث بعد الامساك مثل العفو بعد السخط فاذا لم يكن لا عفو ولا سخط فقد زال

١) هذا لا يصحُّ في كلّ الجواهر اللطيفة كالنفس والأرواح المجرّدة وانما يصحّ فيهِ سبحانهُ تعالى

الخوف والرجاء. ومع هذا فالفلاسفة اجمع يقولون انَّ نهاية الفلسفة التشبُّه بالاله حسب طاقة المخلوق. فاذا كان الاله لا يرحم ولا يجود ولا يصفح ولا يحنّ. اذ ذاك وما شاكلهُ حدوثٌ بعد امساك فبمَ يتشبَّه المخلوق بالاله. فامَّا نحن النصارى المؤمنين فنثق ونؤمن بالله ونعتقد انهُ صانع الكل وبارئه والَّا فكيف كان يتمّ وليس لهُ مجوهر ولا ناظم. ثمَّ نعتقد انَّ هناك سياسة وتدبير الروح ليجمع الكلّ ويربطهُ لانهُ يلزم ان يكون صانع الاشياء هو ايضًا يدبرها والَّا فلو جرى الامر في السياسة على حسب الاتفاق لقد كان الكل اشبه بسفينة لا مدبّر لها تأخذها الرياح الى حيث اتجهت وتنكسر وتنهدم سريعًا لما فيها من قلة النظام والترتيب ومعاذ الله من هذا القول

الباب الحادي عشر

في رأي الفلاسفة في زهدهم في امور الدنيا

فان قال قائل انَّ الفلاسفة الذين كانوا يرون هذا الرأي قد كانوا زهَّادًا ويفعلون الصلاح ويعفُّون عن المحارم. قلتُ ان ذلك اعني فعلهم الجميل لاحدى ثلث حالات وهي: إمَّا ان يكونوا لا يرون هذا الرأي الذي يُنسب اليهم. او ان كان هذا رأيهم فكانوا يزهدون في امور الدنيا ليريحوا قلوبهم من الاهتمام باسبابها ولانَّ فعل الصلاح واجب وفرض على كل بشر اذ مُيِّز عن غيره من الحيوان بالعقل والنطق. او انهم كانوا يطلبون بذلك المديح من الناس

الباب الثاني عشر

ردّ على المتفلسفين الذين يقولون ان الصفات للباري كيفيَّات ولذلك لا يرون ان يصفوه بالحي الناطق القادر وما شاكل ذلك ممَّا وصف بهِ ذاتهُ على السن انبيائهِ

فامَّا من يقول من المتفلسفين أنَّا اذ وصفنا الباري تعالى بالحي الناطق السميع البصير القادر الجواد الكريم وما شاكل كيَّفناهُ ودخل في الكيفيَّة والكميَّة فلم يعلموا انَّ الصفات كيفيَّات للمخلوقين ذوي الاجسام والكميَّة الداخل عليها الحدود القابلة الاعراض. فامَّا الحدود القابلة للخالق فليست كيفيَّات بل اشارات لهُ الى الوجود ودلالات انهُ الاله الواحد المعبود وانما وصف الباري تعالى لاهوتهُ في كتبهِ المنزلة منهُ على السن انبيائهِ ورسلهِ بهذه الصفات من حيث نحن «ومن حيث فهمنا» لا من حيث علوهِ

وسموه ليؤهل بذلك المعرفة بجلاله الينا نحن الذين لأنّا لا نعلم قادرًا الّا ملكًا ولا ذا يد مبسوطة الّا جوادًا ولا رحمانًا الّا رحيمًا فتنازل الباري جلّ قدرته لحقارتنا وسمّى لاهوته بهذه الاسماء من حيث نحن لنفهم ذلك ونعرفهُ ممّا قد الفناه كمثل الناطق الفصيح الذي اذا أراد يخاطب اخرس اومى اليه بيده واشار نحوهُ بحركاته من حيث المخاطَب لا من حيث المخاطِب. وايضًا لِما ازمهُ من ظهور كلمته اي نطقهُ المولود بلا حدث كولادة قرص الشمس للضوء وكولادة العقل للنطق وكولادة النار للحرارة من غير انفصال بين الوالد والمولود ولا افتراق لكي الذي يشاهد ذلك او يسمع به اعني الحادث نطقهُ ينسرّ ولا ينكرهُ ولا ينفر منهُ اذ قد تقدّم الإنذار به من الباري تعالى عزّ وجلّ في كتبه المنزلة منهُ على السن انبيائه ورسله حيث وصف لاهوتهُ بصفات المخلوقين ولكي يشبعوا من وصفه عزّ وجلّ بما وصف به ومن حيث ارادوا ان ينزّهوهُ عن الصفات حادوا عن السبيل المستقيم. فامّا نحن فنقول ان الاتفاق بين الباري الخالق جلّ ذكرهُ وخلقه فيما يوصف به انما هو الاشتراك في الاسماء. فقط فامّا المعاني فلا شبيه بينهُ وبينهم

الباب الثالث عشر

في الزمان والمكان

واذ قد تكلّمنا في وجود الباري تعالى تقدّست اسماؤهُ وجلّت آلاؤهُ بما لا تنفيه العقول ولا يبعده من هو ذو لبّ وبيّنا انهُ قديم واحد غير ذي جسم جوهر بسيط وانهُ محدث للعالم غير داخل عليه عرَض وانهُ متنزّه عن الكيفيّات والكميّات والآنيّات وانّ حدوث العالم واجبٌ اذ وجب لاختلاف طبائعه وتركيبه انهُ مصنوع وان لهُ ابتداء وانّ ما لهُ ابتداء فبلا محالة لهُ انتهاء. وان ليس الحدوث بعد الامساك عرَض عند الباري كما هو عندنا نحن المخلوقين كما ان الامر لمن دون الانسان امر ولمن فوقهُ سؤال

بقي ان نورد في الزمان والمكان كلامًا يسيرًا مقتمًا ان شاء الله تعالى لانهُ قد قال بعض المتكلّمين: كثرة الكلام حرب للسامع. ونقول انّ الزمان قد يقال على انحاء كثيرة: من ذلك الزمان زمان الخريف وزمان الشتاء وزمان الربيع وزمان الصيف واذا غاب واحدٌ عن واحد أيامًا قال لهُ: «لي زمان ما رأيتك» و«ما اغيب زمانًا طويلًا. وزمان

طيب وزمان سوء» . فالزمان ليس لهُ جوهر لطيف ولا كثيف يقبل حدًّا بل هو تعاقب الليل والنهار ومرّ الايّام والشهور وهذا هو الزمان فالطويل ما كثرت اعوامهُ والقصير ما قلّت ايّامـهُ وليس الزمان شيء آخر الّا ما ذكرناه . فامّا المكان فالسماء والارض وما فوقهما وما تحتهما

الباب الرابع عشر

جواب لمن يسأل اين كان مكوّن المكان قبل المكان

فان قال قائل فاذا كنتَ اوجبتَ من العقل الذي هو كالمحكّ والمعيار ومن العالم نفسهِ لتركيبهِ من طبائع مختلفة وتأليفهِ من جواهر متباينة انهُ محدث فاين يكون مكوّن المكان قبل المكان . فنقول انهُ وجب من دليل العقل ومن العالم نفسهِ انهُ مركّب فكل مركّب لهُ مركِّب ولا يجوز ان يكون المركِّب والمركَّب معًا بل المركِّب يتقدم المركَّب لا بسنين ولا بشهور او بجُمَع وايّام الذي هو الزمان بل ابتدأ ابتداء الزمان مع ابتداء المكان وكما وجب من دليل العقل ايضًا انّ الباري تعالى واحد قديم غير ذي جسم وغير مركّب ولا مؤلف وانهُ جوهر بسيط وابسط البسائط . فمن ههنا وجب ان يكون الباري تعالى غير محتاج الى مكان لانّ حاجة التمكّن في المكان عجز والباري تعالى ليس بعاجز وانما المحتاج الى المكان الجوهر الكثيف والجسم المركّب المؤلف من طبائع مختلفة وجواهر متباينة . بل نقول ان المكان في قدرة الباري تعالى ولو كان الباري محويًّا من المكان لدخل عليهِ بعض الحدود لانّ الخلق اللطيف مثل الملائكة والجنّ والانفس تُحدّ بحدّين حدّ الابتداء وحدّ المكان لانهُ لا يكون ملاك ولا شيطان ولا نفس في مكانين في وقت واحد معًا بل ينتقل كل واحد من هؤلاء من مكان الى غيرهِ . وامّا الخلق الكثيف فيُحدُّ بثلاثة حدود حدّ الابتداء وحدّ المكان وحدّ الحلية . والباري تعالى خارج عن سائر الحدود التي تُحدّ بها اللطائف والكثائف ولذلك قلنا انهُ غير محتاج الى مكان بل المكان في قدرتهِ (ستأتي البقيّة)

حنانيا منيّر شعرهُ وتاريخهُ

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لمّا اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤:٤٢٨) لمعةً تاريخيَّة عن بيروت ومعاهدها اقتطفناها من تاريخ مجهول للقس حنانيا منيّر كنّا وعدنا القرّاء ان نعود الى ذكر هذا المؤلف وعمله اذا ما اتاح لنا الحظ بان نقف على شيء من اخباره. على اننا مذ ذاك الحين لم ندَّخر وسعاً في البحث والتنقيب لعلّنا نحصل على ضالّتنا وكان اكبر املنا في اخوته الرهبان الحنّاويين الملكيين الافاضل الذين اجابونا بعد التفتيش انَّ مساعيهم خابت مثلنا وانهم لم يجدوا لزميلهم في الرهبانية ذكراً معروفاً

غير اننا جملنا على الله اتكالنا فجمعنا في هذه الصفحات القليلة ما احاط به علمنا وقد استخلصنا اكثره من تاريخ المؤلف:

وُلد حنانيا منيّر في زوق مصبح في أواسط القرن الثامن عشر من ابوين كاثوليكيَّين احسنا تربيتهُ. وكان الولد ذكيًّا فدرس مبادئ العلوم العربيَّة واتقنها في وقت كان اكثر اللبنانيين لا يعرفون القراءة ثم تعلّم نظم الشعر وقصَّد القصائد كما سترى

ولمّا ترعرع دخل دير مار يوحنّا الصابغ الذي موقعهُ بقرب الشوير وتبع قانون رهبانهِ. ولمّا اتمَّ امتحانات الابتداء اكمل دروسهُ الكهنوتيَّة فسيم كاهنًا. وكان مع ذلك يحب الاطلاع ونقل الكتب الادبية. وفي ايامهِ كثرت الفتن والمشاغب في بلاد الشام فاحبَّ ان يسطِّر منها ما يتصل به علمهُ فكتب تاريخ الامور التي جرت في الشوف في ايامهِ. اعانهُ على وضعهِ سكونهُ في الشوير بعيدًا عن ضوضاء الحروب في مأمن من كوارث الدهر لا يشغلهُ عن تأليفهِ شيء من شواغل الدنيا

شعرهُ — وقبل الخوض في تاريخ القس حنانيا منيّر اردنا ان نذكر ما وقفنا عليهِ من شعرهِ وهو بلا شك دليل على انَّ صاحبهُ كان من ذوي العقول البارزة لانَّ النظم رقيقٌ منسجم العبارة بليغ المعاني وان لم يكن من نمط الشعر العالي. أنشدهُ صاحبهُ اثابهُ الله في عهد كان الشعر اصبح اثرًا بعد عين. فمن ذلك قولهُ وقد دبَّج به مقدّمة كتابهِ:

الموت سمٌّ قاتل فينا سرى حكمٌ من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعه ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنتُ ابصرهُ منعتُ قدومهُ لكنهُ لصٌّ خفيٌّ لا يُرى
طوبى لمن بالموت كان هذيذهُ وكذاك مَن كلَّ الورى التقي ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى بونٌ كما بين الثريَّا والثرى
ولكلّ ساعٍ عند ربك ما سعى ولكل قلب ما نواهُ واضمرا
وانا الذي اصرفتُ عمري غافلًا فررتُ منتبهًا كأنَّي في الكرى
يا ربِّ كن لي صافحًا عمَّا طغت قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
واروم من اهل البصيرة من رأى هذا الكتاب وكلّ من فيه قرا
كرمًا يغضُّ الطرف عن غلطاته فالجود خلقٌ لا يباع ويُشترى
يا ناظرًا كل الزمان وعالمًا بالكائنات وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيق لما ترضى به يا خالقًا ما لا نراهُ وما نرى

ومن شعرهِ ايضًا ابيات قالها في وفاة احمد باشا الجزار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤م) نضرب عن ذكرها صفحًا مطلع احداها: « بشراك يا قلبي الكليم ومهجتي وقال ايضًا في ذلك ابياتًا أُخرى افتتحها بقولهِ:

ظهر الحبور فلاح فينا وانتشر وقد اضمحلَّ الغمُّ عنا والكدرْ

ومن قصائد القس حنانيًا التي لم تأخذها يد الضياع قولهُ يهنئ سليمان باشا يوم دخل عكَّا سنة ١٢١٩. ليتولى امرها بعد الجزَّار قال:

لهوى الاحبَّة في الفؤاد مخيمُ نيرانهُ بين الجوانح تُضرمُ
روحي تُعاني من معاني حبهم عللًا ولي جسمٌ يعلُّ ويسقمُ
شغلي وشوقي والحديث ومحنتي فيهم اليهم ثم عنهم منهمُ
لا غرو ان تبدي الشكاية ما طوى قلبي فما في القلب يعلنهُ الفمُ
يا من سكنتم في الفؤاد ترفَّقوا ولكم علينا منَّةٌ وتكرمُ
انتم احبَّتنا الكرام وانما اعدى العدى منكم ارقُّ وارحمُ
هلَّا كفى ما قد جرى منكم ومن دمعي وهل يكفي الصدود متيمُ

لا تسلكوا طرق التعسُّف واقتفوا ... آثار مولًى مثلهُ مَن يرحمُ

اعني سليمان السلامة مَن لهُ ... في امَّة الاسلام عدلٌ يُعلمُ

من قد غدا بحر الندى ريَّ الصدى ... نهج الهدى قهر العدى اذ يهجمُ

ذاعت مناقب فضلهِ بين الورى ... ولها حديثٌ في البلاد يُترجَمُ

لا عيبَ فيهِ غير فرط سخائهِ ... منهُ الصيارف تشتكي والقيَّمُ

يُخشى ويُرجى بأسهُ وعطاؤهُ ... يُغني ويُغني يُستغاث وينقمُ

لا بدع ان اضحى حكيمًا حاكمًا ... ان اسمهُ لكليهما مستلزمُ

كم حجَّت الحجَّاج تحت لوائهِ ... اذ كان مقداماً لهم يتقدَّمُ

بلغوا الى البيت الحرام برفدهِ ... زُمرًا يضيق بها الحطيم وزمزمُ

زاروا وداروا آمنين . بامنهِ ... وبيمنهِ كلَّ الخاطر عنهمُ

تخشاهُ كلَّ قبيلةٍ وعشيرةٍ ... ويهابهُ عربيُّها والاعجمُ

ان جال ما بين الرجال تدانت ال م ... آجال بالاوجال وهي تدمّمُ

تتبدَّد الكرَّات من كرَّاتهِ ... كسرى يلقى الجراد فيهزمُ

كم قاوم الاقوام قائمُ سيفهِ ... يفري الحديد وحدُّهُ لا يُثلمُ

يعتدُّ اعداد العدى وعديدهم ... كالشاة اذ يسطو عليها ضيغمُ

سلْ عن وقائعهِ دعرقَ تُجبك عن ... اهوال يومٍ قيل فيهِ عرمرمُ

اجرى القتال بها فاجرى من دمٍ ... فيها سواقي وردهنَّ محرَّمُ

والندب اسماعيل امسى نادبًا ... يبكي وفي رجليهِ قيدٌ اعظمُ(١

زالت . ولايتهُ فذلَّ وخانهُ ... سيف ترجى النصر منهُ ودرهمُ

وبذاك فازدجر العصاة وسلَّموا ... طوعاً لمولانا السليم ليسلموا

صيدا أبشري عكَّا افرحي حيفا اطربي ... والقاطنون بهنَّ فليترنَّموا

كن يا سليمان الوزير موازرًا ... للخاضعين وجارماً من يجرمُ

واعظمْ وسدْ وارحمْ وعُذْ وانعم وجدْ ... واسلمْ ودمْ بسعادةٍ لك تخدمُ

واقبل مديحي يا كريمًا وارتضي ... عمَّا نظمتُ من المديح وانظمُ

١) يريد اسماعيل باشا الارناؤطي قائد جيوش الجزار تسلَّم الامر مدَّةً بعده فكر جـ

واذا انتهى شعري بمدحك مرةً ارختُ يبدأُ مدحكم لا يُختمُ

سنة ١٢١٩

تاريخهُ تاريخ القس حنانيا عبارة عن كتاب متوسط الحجم وجدنا نسخةً منهُ عند الاديب سليم افندي باز. وهذه النسخة تشتمل على ١٧٨ صفحة وفي الصفحة ٢١ سطراً بخطٍ عادي تامٍ وكان جنابهُ نقلها عن نسخة استنسخها بيدهِ حضرة القانوني البارع جرجي افندي صفا عن نسخةٍ تخصّ الشيخ العلاّمة اللغوي المرحوم ناصيف اليازجي فاهداها الى غبطة المثلَّث الرحمات السيد البطريرك بولس مسعد. امَّا موضوع هذا التاريخ فذكر احوال لبنان عموماً والشوف خصوصاً منذ سنة ١١٠٩ﻫ الى سنة ١٢٢٢ (١٦٢٧—١٨٠٧م) وقد سمَّاه لذلك «بالدرّ المرصوف في حوادث الشوف» تبع فيهِ المؤلف سياق السنين سنةً فسنةً بل شهراً فشهراً وبين هذا التاريخ وتاريخ الامير حيدر الشهابي توافُقٌ كبير بحيث لا تظنّ الثاني في حوادث كثيرة الّا منقولاً عن الاول نقلًا حرفيًا. وممَّا يفضّل بهِ تاريخ القس حنانيا تاريخ الامير حيدر تهذيبُ عبارتهِ وتنقيحهُ كما ترى من ديباجة كتابهِ:

بسم الله الحي الازلي. — الحمد لله الواحد القهار. المنزَّه عن البداية والنهاية والاغيار. المحتجب عن ذوي البصائر والابصار. والمتعالي على اعلى العقول والافكار. المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار. والكابح أخلاق القوم العتاة الفجَّار. الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار. نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار. حتَّى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار. من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار. وما فرط من الاراذل الاشرار. من المظالم وارتكاب الاوزار. اقتفينا من الصالحين تلك الآثار. واجتنبنا طرق الماردين الموصلة الى سوء الدار

امَّا بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيا المنيِّر احد رهبان دير الشوير انهُ اذ كان النسيان مستحوذًا على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان. الى معرفة ما حدث في سالف الزمان. وقد ثبت انَّ ما لا يكون مسطورًا لا يثبت في الاذهان. تصدَّيت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد. باذلاً في احصائهِ كل الجد والجهد. وقد اقتصرتُ فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها. واضفت اليهما ما حدث في غيرها مما انتهى اليَّ حدوثهُ فيهما فاحصاً فحصاً حثيثًا عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور وقد شرعتُ في هذا العمل ولا ادري متى يحلُّ الاجل فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيهِ من الخلل والذي يكملهُ بعدي فلهُ الثواب الاكمل واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية

ثمَّ يلخّص المؤلف بعد هذه الفاتحة الاخبار التي جرت منذ انقراض دولة بني معن وأوائل امرة بني شهاب من سنة ١١٠٩ الى ١١٦٠ ﻫ (١٦١٧—١٧٤٧م) ثم يأخذ

بعد ذلك في التوسع بالشرح عن تاريخ كل سنة لاسيَّا منذ سنة ١١٨٠ الى ١٢٢٢ فان التفاصيل عنها عديدة والشروح مستوفية. والكتاب يُختَم على بغتةٍ فيستدلُّ بذلك على انهُ ينقصهُ بعض صفحات او تكون المنون حالت صاحبهُ دون تتمّة ما اخذ بتدوينهِ. وهذه اسطرهُ الاخيرة :

«التجأ الشيخ علي تلحوق وبعض المشايخ الملكية الى الامير حسن فصار لهُ سيل على جرجس باز فاخذ يوضح للمشايخ المذكورين ما في نفسهِ. وان الحوالات التي عليهم وجميع الحوادث التي نزلت بهم برضى الامير بشير وانما هي من اعمال جرجس باز وتدابيرهِ»

هذا ما يختصُّ بتاريخ القس حنانيّا منيّر. وقد افادنا جناب القانوني الشهير جرجس افندي صفا انهُ وجد لهذا المؤلف كتباً اخرى كان ورثها الخوري المرحوم فيلبس صوايا منها مقامات بديعة المعاني رشيقة المباني. ومنها مجموع امثال لبنان وبرّ الشام ما يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل بخط المؤلف. ومنها ايضاً تاريخ الرهبنات في لبنان ضمّنهُ عدَّة افادات عن أحوال الجبل الدينيَّة. وفي هذا الكتاب كلام مُسهب عن الراهبة هنديَّة. فهذه التآليف تدلُّ كلها على فضل صاحبها يا حبذا لو عثرنا منها على شيء. فانّنا لا نتأخر عن نشرهِ

هذه الافادات التي امكنَّا الوقوف عليها في شأن القس حنانيّا منيّر. فان شاء الله تمهّد السبيل لغيرنا ليبحث بحثاً نعماً عن هذا المؤلف ويزيدنا علماً عن ترجمة حياتهِ واحوالهِ وتعريف شعرهِ وتاريخهِ. هذه طلبة نرفعها الى اهل الفضل علّهم ينجزون ما باشرنا بتسطيرهِ ويلحمون ما شرعنا بسدى نسيجهِ

اوقاف العائلة الخازنيّة

على الطوائف اللاجئة الى لبنان

نبـذة بقلم الاديب الشيخ شاهين افندي الخازن

لمَّا كنتُ ابحث في باب الاوقاف بلبنان واقابل بين مجموعاتي وما نُشر من نوعها في تاريخ طائفة الارمن على مجلة المشرق المعتبرة وجدت بعض حقائق فاتت الكاتب فشاب فوائدها الحقيقة التاريخيَّة (١ فحملني وجوب بيانها على تضمين ذلك الفائت مع

١) اننا ضربنا وقتئذ الصفح عن ذكر هذه الاوقاف لئلَّا تتسع بنا المقالة ولم نُرد بسكوتنا ان نبخس حقوق التاريخ شيئاً (المشرق)

ما هو من نوعه رسالة مخصوصة به تُنشر في المشرق الاغرّ

ذُكر في تاريخ الطائفة الارمنيَّة المقدَّم ذكرهُ دير السيدة العذراء في بزمار ودير القديس انطونيوس خشبو في غزير ولم يُذكر واقفوهما الخازنيون ولمَّا كان سيأتي ذكرهما في مكانه من هذه المقالة رأيت ان اصدّر الموضوع ببعض التمهيد واليك البيان:

اذا شئتَ ان تُحصي أوقاف العائلة الخازنيَّة فعليك النظر في ثلاثة امور : اطلب اولًا أوقافها على ذاتها . وثانيًا أوقافها على الملة المارونيَّة . وثالثًا أوقافها على الطوائف اللاجئة الى لبنان . والقسم الاخير هو موضوع مقالتي الان وسأُفرد لكلٍّ من القسمين الاولين مقالةً برأسها في فرصةٍ اخرى ان شاء الله

عُرفت العائلة الخازنيَّة منذ نشأتها بالتفاني في تعلّقها بالدولة العليَّة والانصراف الى خدمتها والامانة لها وتاريخها شاهدٌ بصحَّة هذا القول . ومن تاريخ هذه البلاد تعلم ان العائلة الخازنيَّة مع ما وصلت اليه من المنعة والسطوة لم تسلَّ سيفًا ولا نضت ركابًا في سبيل الاستقلال بل لم تتملَّك حيث تملَّكت الَّا بالشراء الشرعي ولا تولَّت حيث وُلّيت الَّا بامر الدولة العليَّة وما تحفظهُ في خزائنها ممَّا ابقتهُ نكبات الزمان من الفرمانات الشاهانيَّة والنعم الملوكية والصكوك الشرعية شاهدٌ بما تقدَّم لا يُردّ . فمنها تتضمَّن ما اقطعهم السلاطين العظام من الاقطاعات الواسعة ومنها ما كافأوهم به من الرتب الرفيعة والرواتب المتوارثة ومنها ما أغدقوا عليهم من الإمتيازات التي لم ينلها سواهم اذ ذاك في هذه البلاد . فثبتوا على امانتهم وبسطوا اكفَّهم لاخوانهم في التابعيَّة او لمن لجأوا الى بلادهم من الاجانب الموالين للدولة العليَّة وهاك ما اعطوهُ تلك الفرق المتعدّدة مذكورًا على سياق السنين :

سنة ١٦٥٢ جاء الآباء اليسوعيون الافاضل كسروان فاستقبلهم حاكم البلاد الامير ابو نوفل نادر الخازن واليك ما قالوهُ منقولًا عن معرَّبٍ من رسائلهم البانية في حواشي تاريخ العلامة الدويهي : « فانزلهم عندهُ واكرم ضيافتهم ووهب لهم محلاًّ من املاكهِ في احدى جهات لبنان المدعوة كسروان وامر ببناء بيت ومعبد في ارض مناسبة لذلك (في قرية عينطورا) وقد انفق هو نفسهُ ما اقتضاهُ هذا العمل وكان يُسرّ عند رؤيته الفوائد الجمّة التي تنجم عن هذه الهبة » . ولمّا تحوَّلت اديرة الرهبانية اليسوعية في الشرق

الى الرسالة اللعازريّة سُلّم اليها دير عينطورا هذا سنة ١٧٩٢ وهو الآن مدرسة عينطورا الشهيرة

وسنة ١٦٨١ جاء الاب فرنسيس من الرهبانية الفرنسيسيّة مرسلاً من رئيسهِ العام لبناء دير في كسروان فرَّحبت بهِ العائلة الخازنيّة ووقف احد أفرادها الشيخ سنتو ابن الشيخ فياض الخازن لهذه الرهبانية محلاً واسعاً في مزرعة حريصا وسلّم صك الوقفيّة للاب المشار اليهِ الذي ابتدأ ببناء الدير والكنيسة في السنة عينها

وسنة ١٧١٦ جاء من حلب اربعة رجال من طائفة الارمن الكاثوليك بلادَ كسروان وهم: ابرهيم وميناس ويعقوب ويوحنا فدخل هذان رهبانية القديس انطونيوس المارونية وبحث الاوّلان عن محلّ يبنيان فيهِ ديرًا لطائفتهما فأورت لهم العائلة الخازنيّة زَندها ووقف لهم احد ابنائها الشيخ صخر بن ابي قانصوه الخازن دير الكُرَيم على اسم الخلاص في قرية غوسطا ثم تأسست رهبانيَّة الارمن وهي مثال عن رهبانية القديس انطونيوس الكبير المارونيّة. وكان تأسيسها في الدير نفسهِ سنة ١٧١٨ ثم باعت هذه الرهبانية الدير واملاكهُ للعلامة الطيب الذكر المطران يوحنّا حبيب مجدّد الرسالة اللبنانية المارونيّة اذ كان بعد خوريًا وتمّ البيع باذن سلالة الواقف بعد ان تعهدت الرهبانية بداومة القيام على ما للواقفين عليها من الحقوق والزمت بها دير القديس انطونيوس خشبو في غزير وذلك بموجب صك مورخ في ١٨ شباط سنة ١٨٦٥ ممضًى ومختوم بالتواقيع والاختام الآتية: المطران سوكياس اسقف انطاكية واب عام رهبان الارمن. القس بطرس مدبر اول ارمني. القس رافائيل مدبر ثانٍ ارمني. ثم الشهود وهم: الخوري بطرس منصور. الخوري يوحنا رعد. طنوس جرجس باخوس. واكيم ميخائيل باخوس. فارس باخوس

وسنة ١٧١٩ جاءت ثمان عذارى من طائفة الروم الملكيين طالبات الترهب فباشر الآباء اليسوعيّون الاجلاء بناء دير لهنَّ على اسم سيدة البشارة في المحل المعطى من الشيخ موسى الخازن في زوق ميكائيل واتّبعن قانون القديس باسيليوس وتاريخ هذا الدير محرر في سجلّ الرهبانية الحنّاويّة

وسنة ١٧٢٤ لمّا كثر عدد اللاجئين من طائفة الروم الملكيين الى حمى العائلة الخازنيّة في كسروان وهب لهم الشيخ خالد الخازن ارضًا في زوق ميكائيل بنوا فيها

كنيسة على اسم القديس جرجس يتبعها انطوش صغير وذلك بعناية الواقف ونسيبه الشيخ ابي شروان موسى بن طربيه الخازن

وسنة ١٧٤٧ بنى الرهبان الباسيليون من طائفة الروم الملكيين ديرهم مار ميخائيل جنوبي زوق ميكائيل في المحل الذي وهبهُ لهم الشيخ موسى بن طربيه الخازن . وفيها ثبَّت المجمع المقدس قانونهم وكانوا قبل ذاك تابعين قانون رهبانية القديس انطونيوس منذ سنة١٦٩٧ وهي سنة ابتداء رهبانيتهم

وسنة ١٧٤٨ وقف الشيخ مشرف الخازن والشيخ انطون قبلان الخازن كلاهما من سلالة الشيخ دهام بن فياض ابي قانصوه الخازن مزرعة بزمار برمتها على طائفة الارمن الكاثوليك وحرَّرا بهذا الوقف صكًّا جاء فيه : « ان حضرة سيدنا البطريرك مار سمعان الكلي الشرف قد اعطى الاذن في وثيقة منهُ لحضرة ساداتنا المطارين المطران يعقوب والمطران بطرس والمطران بولس والمطران يوسف من طائفة الارمن الكاثوليكيين بان يعمروا ديرًا في مزرعة بزمار على اسم سيدتنا مريم العذراء . . . . ثم اننا قد اوقفنا . . . . المزرعة بزمار المعروفة بنا . . . . بجميع توابعها من توت وبيوت وكروم وعريش وسليخ وحرش وبيارة ومن عامر وداثر . . . . . برسم ساداتنا المذكورين حبًّا بوجه الله وعن روح والدينا وأرواحنا ويكون دائمًا تذكارًا لنا ولوالدينا في صلواتهم وعباداتهم وصار الرضا والاتفاق بيننا وبين السادات المذكورين ان يقدموا نصف ثمن المواضع المذكورة التي تسلَّموها قداديس تتقدَّم عنا وعن والدينا والنصف الاخر يكون لاجل الاشراك بالصلوات والعبادات والافعال الصالحة . . . . تحريرًا في شهر تشرين الاول سنة ١٧٤٩ » . امَّا التواقيع والاختام فهي : انطون قبلان الخازن . مشرف الخازن . والشهود : المطران جرمانوس . والمطران اسطفان مطران الابرشيَّة راضيًا بهذه الوثيقة . والمطران طوبيا الخازن راضيًا بهذه الوثيقة

وقد جاء في كتاب البطريرك سمعان الى السادة المذكورين في حجة الوقف ما يأتي : « . . . . حضر عندنا . . . الشيخ مشرف . . . وانبأنا عن حسن نيَّتهِ في وقفهِ لكم مزرعة بزمار وانكم تعمرون فيها ديرًا صدقة عنهُ وعن انفس والديه فاصغنا لطلبتهِ واعطيناكم الاذن اكرامًا لخاطرهِ بان تتسلَّموا الموضع المذكور وتعمروا فيهِ ديرًا يليق بشأنكم . . . في ايلول سنة ١٧٤٩ »

وقد سكنت في الدير الاخوية الارمنية الحالية وفُرض عليها القيام بالزامات زمنية سنوية لسلالة الواقفين شُرطت في اصل الوقف مضافةً الى الفروض الروحية. ولمّا كان قد تأخر على الدير تأدية بعض هذه الحقوق فسلالة الواقفين ذكّروا بها البطريرك الارمني الذي كان مقيماً فيه سنة ١٧٨٥ فأجابهم بأنَّ حقوقهم لا يمكن نكرانها وهي مسجّلة في سجلاّت الاخوية والاخوية ملزمة بادائها الى الابد. وما لبثت ان وفت ما عليها. ثم عادت بعد ذلك الى اهمالها فكتب ابناء الواقفين الى رئيس الدير باقتضائها فأجابهم بما يأتي بالحرف: «جناب الاجلاء المحترمين غب اهداء ما لاق والسؤال عن عزيز الخاطر انا قد اقتبلنا تحرير جنابكم رقم ٣ الجاري وفهمنا كامل شرحكم به عمّا يلاحظ الحقوق والعوائد التي لكم على دير بزمار روحياً وزمنياً مثل تقديم قداسات وابتهالات ثم عيديات وتطلبون منّا دوام القيام بايفائها لجنابكم كالسابق فمن نحونا لا ننكر على جنابكم هذه الحقوق والعوائد لاننا لا نجحد افضال المرحومين اجدادكم ورقتيّاتهم للدير المذكور كما ومعروفكم ايضاً ومن ثم فاننا مستعدون دائماً ان نكون سالكين بموجب الحقوق والعوائد المرقومة وباذلين جهدنا بايفائها لطرف جنابكم كالمعتاد دون تأخير حتى والباقي لكم عن الماضي. وتطميناً لجنابكم بهذا الخصوص اقتضى ترقيمهُ ونؤمل التطمين عنكم. في ٥ تموز سنة ١٨٧١. الداعي لجنابكم الورتبيت يوسف فرح رئيس دير بزمار»

ثمَّ قام حضرة الاب المذكور بايفاء الحقوق وكتب كتاباً عنونهُ باسماء المشايخ فرنسيس ابي جبر واخيه وابناء عمه الخازنيين من سلالة الواقفين ذاكراً اسم كل منهم وقد جاء في كتابه هذا: «... نهنئ جنابكم بهذا العيد المجيد اي قيامة الابن الوحيد من بين الاموات... والذي مترجب لجنابكم قبلاً تقدَّم عن يد حضرة الخوري انطون شهوان مرشد دير مار شليطا.... والآن... مقدّمون لجنابكم عن يد الاب الموما اليه ما هو متوجب... في ٣ نيسان سنة ١٨٧٢. الداعي لجنابكم الورتبيت يوسف فرح رئيس دير بزمار والنائب البطريركي»

وسنة ١٧٥٣ أُنشئ دير سيدة النياح في قرية بقاعتوتا لرهبان الروم الملكيين في المحل الذي وقفهُ لهم المشايخ اولاد ابي خطار فاضل الخازن

وسنة ١٨٢٠ بُني دير مار انطونيوس خشبو لرهبان الارمن الكُرَيميين في المحل الذي

وقفهُ لهم المشايخ بنو هيكل الخازن وقد ذُكر في حجّة الوقف انَّ الدير واملاكهُ تبقى تحت تصرُّف هؤلاء الرهبان وتصرُّف من يخلفهم ما دامت هذه الرهبانيَّة قائمة وحافظةً الايمان ولا يمكنهم بيع هذا الوقف ولا رهنهُ الَّا برضا الواقفين مع الزامهم بقداسات مخلّدة عن انفس المحسنين ثم أُضيف الى هذه الشروط الزامات دير الكريم وفي اصل الوقف ايضًا انهم اذا لم يقوموا باتمام الشروط المذكورة او حادوا عن الايمان او انقرضوا ترجع الموقوفات مع كل ما يكون جُدّد فيها بالغًا ما بلغ الى سلالة الواقفين

فالاوقاف التي مرَّ تفصيلها هي هذه بالاجمال:

١ دير مار يوسف في عينطورا وهو اليوم مدرسة عينطورا الشهيرة
٢ دير مار انطونيوس في حريصا للرهبانيَّة الفرنسيسيَّة
٣ دير الكريم في غوسطا وهو اليوم للرسالة اللبنانيَّة المارونيَّة
٤ دير سيدة البشارة في زوق ميكائيل لراهبات الروم الملكيين
٥ انطوش القديس جرجس في زوق ميكائيل لطائفة الروم الملكيين
٦ دير القديس ميخائيل في زوق ميكائيل لرهبان الروم الملكيين
٧ دير السيدة العذراء في بزمار وهو اليوم مدرسة بطريركيَّة للارمن الكاثوليكيين
٨ دير سيدة النياح في بقاعتوتا لرهبان الروم الملكيين
٩ دير القديس انطونيوس خشبو في غزير لرهبانية القديس انطونيوس الارمنيَّة

هذه هي الاديار التي اعطاها بنو الخازن لغير اللبنانيين ولم اذكر الاملاك الواسعة التي وقفوها لانها تقتضي مئات من الصفحات يُجمع منهــا مجلد ضخم امَّا حججها وصكوكها فلم تزل محفوظة لدى ورثة الواقفين ولم انوّه بهــا في محالّها ذهابًا الى الاختصار

نظم كليلة ودمنة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اهدانا جناب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس نسخة من نظم كليلة ودمنة لابي يعلى عليّ بن احمد بن الحسين المعروف بابن الهبّاريّة هذّبهُ الخوري الفاضل

نعمة الله الاسمر الماروني اللبناني. ومما اثبتهُ المصحح في مقدمة الكتاب (ص ٩) انهُ بحث عن وجود كتاب كليلة ودمنة شعرًا فعلم « ان قد نظمهُ ثلاثة شعراء: الاول أبان اللاحقي (كما يظهر من مقدّمة الناظم)... الثاني ابن الهبارية. الثالث محمد او احمد الجلال ». ورأى نسخةً من كتابه في مكتبتنا الشرقية

فلمّا وجدنا في كلام المصحح الاديب بعض الخلل احببنا ان ندوّن في صفحات المشرق لمةً نضمّنها ما نعرفهُ عن تاريخ ترجمات كليلة ودمنة بالشعر ونستطرد منها الى بيان فضل الطبعة الجديدة

١ نظم كليلة ودمنة لابي سهل بن نوبخت

اول ترجمة شعريّة ورد ذكرها لكليلة ودمنة صنّفها ابو سهل الفضل بن نوبخت المجمي. اشتهر ابو سهل المذكور في غرّة الخلافة العبّاسيّة وخدم الخليفة المنصور وابنهُ المهدي. وكان شاعرًا نظم عدّة كتب ورد ذكرها في كتاب الفهرست لابن النديم. أمّا ترجمتهُ لكليلة ودمنة فلم يصرّح بها في الفهرست وقد ذكرها الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون قال (ج ٥ ص ٢٣٨ من طبعة فلوغل): « ونظم كليلة ودمنة سهل (والصواب ابو سهل) بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهديّ والرشيد. فلمّا وقف عليهِ اجازهُ الف دينار » . على ان هذه الترجمة لم يبقَ لها اثر كأنّ الترجمات التي وردت بعدها فاقتها حسنًا فطمست بذكرها وجعلتها نسيًا منسيًّا

٢ نظم كليلة ودمنة لأبان بن عبد الحميد اللاحقي

هذه الترجمة ظهرت بعد الترجمة السابقة بزمن قليل. صنّفها للبرامكة أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي. قال ابو المحاسن في كتاب النجوم الزاهرة (١: ٥٧٦): كان أبان شاعرًا فاضلًا بليغًا قدم بغداد واتصل بالبرامكة ولهُ فيهم مدائح وصنّف لهم كتاب كليلة ودمنة وهو فرد في معناهُ. توفي أبان سنة ٢٠٠ هـ (٨١٦م). وجاء في كتاب الاغاني (٢٠ : ٧٣): « كان ابان نقل كتاب كليلة ودمنة فجعلهُ شعرًا يسهل حفظهُ عليهم وهو معروف اولهُ:

هذا كتاب ادبٍ ومحنهْ ... وهو الذي يدعى كليلة دمنهْ
فيهِ خيالاتٌ وفيهِ رشدُ ... وهو كتاب وضعتهُ الهندُ

فاعطاهُ يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاهُ الفضل خمسة آلاف دينار ولم

يُعطِهِ جعفر شيئاً وقال: « ألا يكفيك ان احفظهُ فأكون راويتك ». وهذه الترجمة مع فضلها واطناب الاقدمين في محاسنها قد اخذتها يد الضياع ولم نجد لها ذكراً في مكاتب اوربّة العموميّة ولا في خزائن الخواصّ في الشرق

٣ نظم كليلة ودمنة لعلي بن داود

كان عليّ بن داود كاتباً لزبيدة بنت جعفر اثنى على فضلهِ صاحب الفهرست (ص ١٢٠) وقال في محلّ آخر بعد ذكرِ ترجمة أبان لكليلة ودمنة ما نصّهُ(ص ٣٠٥): «ونقلهُ علي بن داود الى الشعر». وهذه الترجمة الثالثة قد اخنى عليها الدهر ففُقدت

٤ ترجمة كليلة ودمنة لبشر بن المعتمر

نبغ بشر بن المعتمر في أيام الرشيد والمأمون. قال ابو الفرج بن النديم في حقّهِ (ص ١٦٢): «كان بشر شاعراً واكثر شعرهِ على المسمَّط والمزدوج وقد نقل من الكتب معاني شتى الى الشعر». وذكر في محل آخر (ص ٣٠٥) انهُ نقل كتاب كليلة ودمنة الى الشعر. قال: « والذي خرج بعضهُ » كأنهُ اشار بذلك الى انّ بشراً لم ينجز عملهُ

٥ نظم ابن الهباريّة لكليلة ودمنة

هذه اول ترجمة شعريّة لكليلة ودمنة صبرت على آفات الزمان فبلغتنا. صنّفها نظام الدين ابو يعلى محمّد بن صالح الهاشمي العبّاسي. كان بغدادي المولد ولمّا كبر اتّصل بخدمة نظام الملك ابي عليّ الحسن بن عليّ بن اسحاق وزير السلطان الب ارسلان وولدهِ ملك شاه ثمّ دخل كرمان وخدم ملكها ايران شاه ولهُ وضع نظم كتاب كليلة ودمنة دعاهُ: « كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة »

ولابن الهباريّة كتب اخرى اشهرها كتاب الصادح والباغم طُبع في بيروت ولهُ ديوان شعر ضخم لم يطبع حتى الآن. كانت وفاتهُ سنة ٥٠٢ (١١١٤م). واماً نسخ هذا الكتاب المخطوطة فيُعرف منها اربع واحدة منها في الاستانة والثانية في المتحف البريطاني (راجع ملحق المخطوطات العربيّة ع ١١٥٨ ص ٧٣٤). والنسخة الثالثة هي النسخة الهنديّة التي نشرها سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م) في مبئي (Bombay) الشيخ نور الدين بن جيواخان واعتنى بتصحيحها الشيخ غلام حسين ابن المفسوح الماجد ملّا عبد ابي القاسم وهي طبعة حجريّة مُشرقة الحرف سهلة المطالعة

امّا النسخة الرابعة فهي التي عُني بنشرها مؤخرًا حضرة الخوري الفاضل نعمة الله الاسمر. ونظنُّ انها هي النسخة التي اطّلعنا عليها في حلب قبل ١٥ سنة في دار الوجيه جبرائيل افندي الدلّال وهي نسخة مضبوطة ليس فيها الّا النزر القليل من اغلاط النسخ خطّتها يد «الكاتب الب بن عبد العزيز بن الب في شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع واربعين وسبعمائة» (١٣٤٦ م). فطبعها حضرة الخوري نعمة الله في المطبعة اللبنانية في بعبدا في السنة المنصرمة. ولهذه الطبعة الجديدة عدّة خواصّ منها انها جليّة الحرف مضبوطة بالشكل الكامل منقّحة من كل لفظة بذيّة بحيث يحسن مطالعتها احداثُ المدارس. ومنها انّ في آخر الكتاب جدولًا للالفاظ اللغويّة تولى حضرتهُ شرحها. وقد نظم ايضًا حضرة المصحح بعض قطع لم ينظمها ابن الهباريّة اخصها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين(١ نثبتهُ هنا ليعرف القرّاء فضل ناظمهِ (ص٢٧٢—٢٧٥):

قال لهُ يا يدبا هذا المثل	وَعَيْنُهُ فيتَنْ سوْ العملْ
في من يرى الرأي السديد الصائبا	لغيرهِ اذا اتاه طالبا
ولا يرى لنفسهِ الصوابا	قال لعمري ذاك ما اصابا
فانهُ لم يلقَ الّا ضررا	وقد روى ليَ الثقات خبرا
حكوهُ عن مالكٍ الحزين	الطائر المعروف بالبَلَشون (٢
وما جرى لهُ مع الورقاءِ	والثعلب المشهور بالدهاء
قال وكيف ذاك قال نَقَلا	خلٌّ حكيم ليَ هذا المثلا
فقال لي قد كان للحمامهْ	عشٌّ باعلى نخلةٍ في رامهْ
تبنيهِ من بعد عنًا وتعبِ	وكلفةٍ شديدةٍ ونصَبِ
لان ذي النخلة كانت عاليهْ	غصونها الى السحاب راقيهْ
ثم اذا ما فرغت وباضتْ	حضنتِ البيضَ حتّى انقاضتْ
ثم اذا ما ادركت صغارُها	من بعد ان طال لها انتظارها
اتى اليها ثعلبٌ قد عرفا	في اي وقتٍ بيضها قد نقفا
وصاح من اسفل تلك النخلهْ	حمامةَ الدوح اسمعي لي جملهْ
إرمي الفراخ ليَ او ارقى فلا	يقيكِ شرّي غيرُ مبدع الملا
اني اذا ارتقيتُ لستُ انحدرْ	حتّى تصيري عبرةً للمعتبرْ

١) ظنَّ حضرة المصحّح ان ابن الهبّاريّة كان نظم هذا الباب فنقل الناسخ عن نسخهِ. اما نحن فنحسب انَّ الشاعر لم ينظم هذا الباب لانهُ لم يجدهُ في النسخ القديمة واكثر النسخ القديمة لم تثبت هذا الفصل

٢) كذا في الاصل وهي غلطة طبعيّة أُصلحت في فهرست الاغلاط والصواب: بلَشون بالشين خُفّفَ لانها لضرورة الشعر

فتجزع الحمامة الوضيعهْ منهُ وترميها لهُ مطيعهْ
فبينما الورقاء ذات مرَّهْ في عشّها تبدي الجوى والحسرهْ
وكان اذ ذاك لها فرخانِ قد ادركا كلاهما حُلْوانِ
واذ اتى مالكٌ ألحزينُ رأى الاسى في وجهها يبينُ
فقال لِمْ انتِ بسوء الحالِ كئيبةٌ كثيرة البلبالِ
فاخبرتهُ بالذي تلقاهُ من ذلك الثعلب مع دهاهُ
فقال هذا الخطب ليس خطبا وكفهُ سهلٌ وليس صعبا
متى اتى وقال مثل ما سبقْ فلا تخافي شرَّهُ وان برقْ
وانما قولي لهُ لا أتقي اليك افراخي كاضي حُمقي
فأرقَ اليَّ لا تبالي بالخطرْ من لم يخاطر لم ينَل قطُّ وطرْ
فان بانتَ سالمًا اليَّا ونلتَ عشي آكلًا فرخيًّا
أطِرْ اذًا ناجيةً بنفسي طالبةً في البعد عنك أنسي
وعندما علَّمها ما قالا من حيلةٍ ستخذل المحتالا
طار بعيدًا واعتلى وارتفعا ثم على شاطئ نهرٍ وقعا
واقبل الثعلب ثمَّ وقفا وقال مثل ما ذكرنا آنِفا
فهددت ورقاؤنا واحتدمتْ ثمَّ اجابتهُ بما تعلَّمتْ
فقال قولي ليَ من اتاكِ هذا الجواب وبهِ نجَّاكِ
قالت لهُ فرخُها يبينُ علَّمني مالكٌ ألحزينُ
فأعملَ الثعلبُ فرطَ المكرِ وأمَّ مالكًا لقرب النهرِ
فقال يا مالك اين تجعلُ رأسك إن هبَّت عليك شمألُ
قال ورائي قال اين تضعهْ اذا أتت ريحُ الجنوب تصفعهْ
قال شِمالاً قال اين تسترهْ إن هبَّت النكباء كادت تبترهْ
قال لهُ تحت جناحي حالاً أسترهُ واتَّقي الوبالاَ
قال لهُ ذلك ليس يمكنُ قال بلى وانهُ لهيّنُ
قال لهُ فأرِنيهِ فعلا انك قد سلبتَ مني العقلا
يا معشر الطير لقد فضَّلكمْ ربِّي علينا بالذكا جمَّلكمْ
فهمتمُ في زمن قليلِ ما نحن لا نفهمهُ في جيلِ
فأرِني بالله كيف تفعلُ هذا اذا فعلتَ امرٌ يذهلُ
فادخل الطائر حالاً رأسهْ تحت جناحهِ بلا فراسهْ
فوثب الثعلب غير مَهَلِ عليهِ واختطفهُ بالعجَلِ
ثمَّتَ قال يا عدوَّ نفسهِ ومَن أزال سعدَهُ بنحسهِ
ترى سديد الرأي للورقاءِ تُنقذها بالمكر والدهاءِ
ولا ترى لنفسك الآراءَ لتبعد الخصوم والاعداءَ

سحقًا وبا ويحًا لهُ ذكاء ان كنتَ لم تزلْ به البلاءُ
وبعد ان انهى الكلام قتلهُ عضًّا وضربًا بالثرى واكلهُ
فلنسأل الرحمان ان نكونا لما امرنا النبيّ فاعلينا
متصحبين بالذي نصحنا فان نكن كذا فقد نجحنا

وان سمح لنا ناشر هذه النسخة عرضنا عليه ملحوظًا وهو تجاوز الحدّ بالزيادات العديدة التي اضافها الى نظم ابن الهبّاريّة مدمجًا شعرهُ بشعرهِ . فانّ هذه الزيادات مع حسن معانيها وجودة سبكها تشبه الرقعة الجديدة في الثوب العتيق والعلماء المستشرقون يأنفون اليوم من الجمع بين الحديث والقديم

٦ نظم كليلة ودمنة لابن المماتي

ابن المماتي من اقباط نصارى مصر اشتهر في القرن الثاني عشر للمسيح واسمهُ على ما رواهُ ابن خلكان (طبعة باريس ١ : ٩٩) الاسعد أبو المكارم بن الخطير ابي سعيد مهذّب بن مينا بن زكريّا ابي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر كان ناظر الدواوين بالديار المصريّة لهُ مصنّفات عديدة منها نظم سيرة صلاح الدين ومنها نظم كتاب كليلة ودمنة . ولا نعلم أبقي من هذه الترجمة نسخةٌ سالمة . بيد انّ الخزائن الكتبيّة التي راجعنا قوائمها لم تفدنا شيئًا من هذا القبيل . كانت وفاة ابن المماتي سلخ سنة ٦٠٦ (١٢١٠ م)

٧ نظم كليلة ودمنة لعبد المؤمن بن الحسن

ناظم هذه النسخة يُدعى عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين بن الحسن اشتهر في أواسط القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح وقد وسم كتابهُ « بدرر الحكَم في أمثال الهنود والعجم » . بقي من نظمهِ نسختان احداهما في دار المخطوطات الشرقية في عاصمة النمسة (راجع قائمة مخطوطات وينّة ع ٤٨٠ ص ٤٦٩ من الجزء الاول) وهي نسخة حسنة كتبها في سرمين محمَّد بن عبد الزلط في ٢٣ من ذي القعدة سنة ٨٦٢ (١٤٥٨ م) وهي عبارة عن ٩٠٠٠ بيت رجز اولها :

الحمد لله العزيز الحاكم القادر الحي المريد العالم

وفي آخرها يعلمنا انهُ نظم الكتاب في ٨٠ ليلة قال :

وفي ثمانين من الايام حصلتُ من نظمي له مرامي
آخرها العشرون من جمادى الاوَّل تاريخها أرادا
وذاك في سنة ستّ مائه واربعين من سنيّ الهجرهْ (١٢٤٢ م)

وبعد هذا الختام ابيات تدلّ على انّ المؤلف فقد الاصل الذي نظمهُ فاضطرَّ الى اعادة شغله قال:

وهذه النسخة قد كتبتُها ومن مؤدّاها قد اثبتُّها
من بعد فقد اصلها المبيَّضِ وكان ذاك الاصل اقصى غرضي
وكان تحريري لها في سَنَة سبعٍ وستّين وستمائةِ (١٢٦٨م)

والنسخة الثانية من هذا الكتاب في عاصمة بافارية في خزانة كتب مونيخ (Munich) الشرقيّة (راجع غ ٦٢٩ من قائمة اومر J. Aumer)

٨. نظم كليلة ودمنة لجلال الدين النقّاش

هو جلال الدين الحسن بن احمد النقّاش احد شعراء القرن التاسع للهجرة لا نعلم من أحواله غير ما سطرهُ هو في مقدّمة نظمه كليلة ودمنة وختامه قال في المقدّمة:

وبعدُ فالمفتقر الضعيفُ البائس المقصّر النحيفُ
الحسن بن احمد الجلالُ لا زال محبوباً له الكمالُ
الناظم المعروف بالنقّاشِ خلّصه الله من النواشي

وقال في الخاتمة:

وبعد فالناظم للمنثورِ من ذا الكتاب الحكم المشهورِ
الحسن بن احمد الجلالُ لا زال محبوباً لهُ الكمالُ
يقول في مقام الاعتذارِ عن عارض الاخلال والاقصارِ...
وقد تهيّأ نظم ذي الارجوزهْ بمقتضى الفاظها الوجيزهْ
من غير حشوٍ في النظام يسمجُ بالذهن لاستثقاله لا يلجُ
في مائةٍ من الليالي الثانيهْ بفطنةٍ مع مَلَكةٍ مواتيهْ
اوّلها العشرون من ذي القعدهْ سنة ضحك (٨٢٨) مع وجود الشدّهْ
وختمها العشرون ايضاً من صفرْ ختمهُ الله بخيرٍ وظفرْ

ومن هذا الكتاب المنظوم نسختان احداهما مصونة في خزانة كتبنا الشرقيّة حصلنا عليها في لندن عند احد مشاهير باعة الكتب. وصفحتاها الاوليان محلّيتان بالذهب والنقوش رسمنا الاولى منهما بالتصوير الفوتوغرافي. وهذه النسخة لا تاريخ لها انها مكتوبة منذ نحو ٣٠٠ سنة. وقد وقع فيها عدّة اغلاط نسخيّة. وهذا مثال يدلّ على طريقة الناظم وهي قصة الفيلة مع الارانب:

قال الغراب انّ ارض الفيلهْ تتابع الحرب بها والحيلهْ
فغوّرت عيونها ونضبت وعطشت افيالها واضطربتْ

وشكتِ الافيالُ ما حلَّ بها الى المليكِ من بلا مشربها
فارسلَ القصّادا والروّادا فرجعوا لم يبلغوا المرادا
وجاء بعض قاصديهِ وذكرْ بانَّ في ارض كذا عينَ القمرْ
كثيرة الماء فمرَّ في الحالْ يطلبها يأوي اليها الافيالْ
وكان بالارض لها ارانبْ فجآت الفيلةُ لا تُراقبْ
في مشيها فوطئت اكثرَها واكثرت في مشيها ضررها
فاجتمعت الى المليك وشكتْ ما نالها من المصاب وبكتْ
وقالت انظر في صلاح حالنا من قبل ان توقع في وبالنا
قال ليحضر كل ذي معقولِ ينظر في الفروع والاصولِ
فقام منهم من لهُ تميزُ من بينهم واسمهُ فيروزُ
وكان قد علم منهُ الملكُ ذهنًا سليمًا للامور يدركُ
وقال أرسلني الى الافيالِ وابعث امينًا يستمع مقالي
قال لهُ انت امينٌ صادقُ وانت في رأيِ الصواب حاذقُ
فلست تحتاج الى امينِ وقد كُفينا بك في اليقينِ
وانما يُعرَف رأيُ المرسلِ وعقلهُ لدى اعتماد الرُّسلِ
بواعثًا اللين وحسن الرفقِ مجانبًا لغلظةٍ وخرقِ
فبالرسول يُستلان القلبُ وبالملاقاة يهون الصعبُ
فمرَّ فيروز وقد ضاء القمرْ حتى اتى الفيلة ثمَّ فابتكرْ
ولم يرَ الدنوَّ منها حزما لكونهِ اصغر منها جسما
وخاف ان تطأهُ وان لمْ تقصدهُ من حيث هيَ لم تعلمْ
فصار ثمَّ فوق تلٍّ عال فقال هيًّا معشر الافيالِ
انا رسول القمر المنيرِ الى مليك الفيلة الكبيرِ
فليَدْنُ مني كي أبين الحالهْ بين يديهِ بأدا الرسالهْ
ولا على الرسول فيما يلفظُ لوم وان كان بوجه يغلظُ
قال لهُ المليك من ارسلكا وما هو القول الذي حمّلكا
فقال قال القمر المشعشعُ مولايَ ذا القول الصحيح يُسمَعُ
بالّا يغترَّ شديدُ الباسِ بما اتاهُ الله من مراسِ
فانَّ في قوّتهِ مصرعَهْ ولا يطول العُجب ان يوقعهْ
وقد عرفنا منك فضل القوّهْ على الدواب فاقصد المروّهْ
وقد اتيتَ الآن نحو عينِ وقد تحمّلت حصول شينِ
حيث شربتَ ماءها ولم تدع بعدك للوارد منها منتفعْ
فلا تعُدْ من بعد ذا اليها ولا تردْ بفيلةٍ عليها
واني أُرسلتُ كي انذركا لكنني من بعد لا اعذركا

فان أبيت سوف أمشي بصركْ ولا ترى النصرة ممّن نصركْ
وان شككتَ فانّي نحو العينِ أكشفُ من وجهي بنير مينِ
فجاءهُ من قول فيروز عجبْ .وجاء نحو العين في عين النضبْ
حتّى اذا ما جاءها فابصرا بموجب الصفاء فيها القمرا
فقال فيروز ضع الخرطوما في الماء واغسل وجهك اكرما
واسجد هنا للقمر الشريفِ فانهُ ادنى الى التوقيفِ
فادخل الخرطوم فيهِ فاضطربْ في الماء ظلُّ البدر من ذاك السببْ
فسأل الفيل: لِمِ قد اضطربْ فقال فيروز لهُ : من النضبْ
فاسجد لهُ وتُب لأنْ قد حَرِدا فخضع الفيل لهُ وسجدا
وقال قد تبتُ فلن اعودا بعد الى العين ولن اذودا

امَّا النسخة الثالثة من هذه الترجمة الشعريَّة فموجودة في المتحف البريطاني يؤخذ من وصفها في قائمة كتبهِ انها اخت نسختنا لا تختلف عنها شيئًا وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٩ﻫ (١٦٥٩ م) (راجع ملحق مخطوطات المتحف البريطاني الشرقيَّة ص ٧٣٥ ع ١١٥٩) هذا ما حصلنا عليه من ترجمة كليلة ودمنة بالشعر العربي. ويحسن بنا ان نختم هـذه المقالة بما وصف بعضهم هذا الكتاب الجليل اذ قال:

اذا افتخر الرجال بفضل علمٍ ومُدَّت فيهِ ألسنةٌ طويلهْ
ففاخر ما استطعتَ بما حوتهُ بطون كتاب دمنة مع كليلهْ
كتاب يفرق البلغاء فيهِ وألباب الورى منهُ كليلهْ
وكم فيهِ عجائبَ كامناتٍ على دنيا وآخرةٍ دليلهْ
وكم حِكَمٍ على أفواه طيرٍ وآدابٍ وامثالٍ مقولهْ
يراها الجاهل المأفون هزلاً وحسبُكَها لعالمِها فضيلهْ

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تابع لما سبق)

٢ً (السفينة والقارب) السفينة اكبر الوسائط التي استخدمهـا البابليُّون والاشوريُّون لقطع النهر ونقل عساكرهم وذخائرهم الى ما وراء دجلة والفرات. وكانوا يصطنعونها من الخشب الاعتياديّ وحجمها متغاير لا قرار لهُ منها ما يبلغ من الطول

خمسة امتار ومنها ما يزيد على الثلاثين مترًا وقس عليه العرض . وبعد انجازهم تركيبها يطلون خارجها بالقير بثخن ثلاثة سنتيمترات كيلا تخرقها المياه ويجعلون مقدمهـا على هيئة رأس حصان يجري لهُ قشور كالسمك ومؤخرها على هيئة مروحة تضاهي ذنب الحوت وكانت السفينة تسير بلا سكّان (دفّة) . امّا ملّاحوها فاربعة او خمسة . وكان رأس مقاذيفهم منعكفًا ومسطّحًا . واذا كان حجم السفينـة كبيرًا يركزون في وسطها صاريًا (دَقَلًا) واحدًا يسندونهُ برحـبين غليظين الواحد منهما مشكوك برأس الحصان والثاني بذنب السمكة (١

وكان الاشوريون يزخرفون سفنهم على اشكال نادرة المثال . فانهم لا يتركون زاوية منها الّا ويُلبسونها ثوبًا من التصاوير والرسوم المدهشة . والفائدة من الصاري ان ينشروا عليهِ الشراع عند قطعهم النهر صُعُدًا اذا صادفتهم الريح الموافقة وحينئذٍ يجتزئون بهِ عن المقذاف وعن جرّها بالحبال . امّا اذا كان حجم السفينة صغيرًا فلا صاري فيهـا فيضطر أربابها في كل الاوقات الى جرّها بالقلوس عند ركوبهم النهر صعودًا . وهذا الصنف الاخير من السفن يسمى بالقارب وعند العراقيين بالسّماجيّة

وفي متحف العاديّات البريطاني صورة ناتئة تمثل سفينة اشوريّة قد هجم عليهـا طائفة من السباع وملاحوها وركابها يذبّون عن انفسهم بالسلاح . وفي هـذا المتحف ايضًا صورة ثانية ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك (Kouyoundjik) قبال الموصل تمثل سفينة قاطعة النهر فيها الملك اشوربانيبال واقفًا في وسط عربتـهِ الحربيّة محاطًا بقوادهِ ووزرائهِ وعدد من الملاحين على شط النهر يجرّونها بالحبال

ولم تزل تلك السفن الاشوريّة حتى في ايامنا هذه تمخر عباب دجلة والفرات وشط العرب جالبةً لنا الغرباء واصناف البضائع الخ من كل بلاد العراق الواقعة على ضفتي الفراتين . ولم يطرأ على تركيبها وتشكيلها تغيـير يُذكر الّا ان صدرها مزيّن بسكّان شديد ومجاذيفها عبارة عن رماح طويلة . والمقدم والمؤخر بقيا بسيطين ليس فيهما نقش البتة . والصاري تسندهُ حبال عديدة على ترتيب المراكب البحريّة . وقلّما تجد سفنًا غير متغيّرة كما ان قليلًا ما كان القدماء يغيّرون سفنهم

٣ (الكلك) لمّا كان هذا المركب ذائع الشهرة في الخافقين وقد ملأ انفس

(١ Lenormant : *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 136 et 137

البشر تعجباً أثار أشواق الروّاد ودفعهم للسفر الى هذه البلاد رغبةً في مشاهدتهِ رأي العين. فمن الناس مَن اعترف بوجودهِ ومنهم مَن انكر بقاءهُ في مثل هذا العصر المتمدن لكن مهلاً ايها القارئ ولا يأخذك العجب فان الكلك لم ينطفِ بعد سراج وجودهِ وانهُ لمن مخترعات البابليين وان كنتَ في شكٍّ من ذلك فاصغِ الى ما يقول عنهُ هيرودوتس: «انَّ مراكب البابليين مدوَّرة الشكل مؤلَّفة من جلود منفوخة فيبتدئون اولاً باصطناع أطرافها من الصفصاف الذي ينبت في ارمينية الواقعة فوق بلاد اشور ثم يجعلون تحتها وحواليها قِرَباً. وهذه المراكب ليس لها مقدَّم ولا مؤخر كما هي العادة. بل هي مدوَّرة كالترس داخلها مبطَّن بالقصب. وعليها يسافر الناس بجميع منقولاتهم عند ركوبهم النهر نزولاً... واثنان من الرجال يجذفان واقفين يرفع احدهما مقذافهُ عن سطح الماء بينما الآخر يغمسهُ فيه... امَّا حجم الكلك فيتقلب بين الكبير والصغير ولكل من الركاب حمار او اكثر حسب ما يملك من حطام الدنيا. وعند وصولهم بابل يبيعون البضائع ويحملون في المزايدة موادَّ الكلك ويأخذون الجلود المنفوخة معهم على ظهر الحمير ويرجعون بها برًّا الى حيث أتوا. ولا يأخذون طريق النهر لتعذُّر ركوبهِ صعوداً. وذلك لان المياه تصارعهم بسيرها الشديد. وعلى اللبيب ان يدرك فائدة الجلود في تركيب الكلك. واذا ما دخل الملاحون اماكنهم يباشرون بتركيبهِ ثانيةً على تلك الطريقة الى ما شاء الله. فعلى هذا إذن يكون السفر على الفرات» (١

ولا حاجة الى وصف كيفيَّة تركيب الكلك في أيامنا هذه. اذ ليس من عوائد اهل الشرق تبديل الهيئة الاصليَّة التي ورثوها عن اجدادهم. بل ان المحافظة عليها هي عندهم من باب الحذق والذكاء الصائب كما يقول فرنسوا لنورمان. والاوفق لي ان اجتزئ بنقل كلام بعض الروَّاد الحديثين وعلى القارئ ان يفرّق بين الكلك القديم وبين الطوف الحديث. قال العلامة جول اوبير اليهودي الذي سافر من الموصل الى بغداد على هذا المركب « خذ عني تركيب الكلك. يأخذ اصحابهُ اولاً بنفخ القِرَب المتَّخذة من سلخ التيس او الماعز. ثم يربطون فم القربة ربطاً محكماً ويطلونها بالقطران ويعلّقون القِرَب باجمعها بحصيرة من سعف النخل. ويكون الكلك مربَّعاً او على شكل مستطيل الزوايا. امَّا الذي ركبتُهُ فكان مركَّبًا من عشرين صفًّا من القِرَب ويتركب

(١ Hérodote I, l. 1, ed. 1861

الصفّ من ١٥ قربة ثم يفرشون على الحصيرة ألواحاً من الخشب الاعتيادي على عرض الطوف كلّه امّا على طولهِ فيصفّون قطعاً طويلة من الخشب الجزْل الغليظ. هذه هي اذن ارض الكلك. وكان قد بلغ طولهُ عشرة امتار وعرضهُ سبعة امتار. وأقاموا في وسطهِ مقصورةً كلها من القصب والقش السميك الذي لا تخرقهُ الميـاه. وكان طرفا الكلك حاويين العُروض واثاث المطبخ والرجال والملاحين طلباً للموازنة ثم يتركونهُ يسـير الهوينا. فتدفعهُ قوّة المياه النازلة. والغرض من الملاحين انمـا هو حراسة السكّان من الخطر والانتباه على سلامة الكلك من الغرق واستبدال القرَب المخرّقة بغيرها. وليس كما يتوهّم البعض انّ وجودهم ضروري لتسيير الكلك. والغرض الوحيد من وضع القرَب هو لكي يتمكّن الملاحون من تحميلهِ حملاً فاحشاً واذا لا سمح الله لحق العطب بعددٍ كافٍ من القرَب يغرق الكلك لا محالة. فتلافياً لمثل هذا الخطر يجلب الملاحون معهم عدداً وافراً من القرَب الصحيحة لوقت الحاجة. ومن واجبـات الملاحين ان يلاحظوا بعين ساهرة دنوّ الكلك من الشاطئ وان يردّوهُ عنـهُ بقدر استطاعتهم اذ هنالك كُوَم من صغير الصخور والنباتات الخ تؤدي الى تلفهِ. وزد على هذه كلهـا سير النهر الشديد في اغلب مواضعهِ . . . » (١

واذا هاج فيك الشوق الى الوقوف على زيادة ايضاح فعليك بما كتبهُ بهذا الشأن الرائد المشهور المسيو غليوم ليجان في جريدة التجول في العالم (٢

ان تاريخ وجود الكلك في عالم المخلوقات لقديم جداً يرتقي عهدهُ الى ما قبـل ولادة ملوك اشور وبابل فانهُ كان في عصر ألاسّار (Ellassar) وبعرف العراقيين قلعة شرگاط وآگد Agadé وبلسان الحاليين « ابو حبّة » وهؤلاء عاشوا سنة ٣٨٠٠ ق م

وترى اليوم في متاحف اوربّة للعاديات صوراً وُجدت في أخربة بابل ونينوى وغيرهما ما يدعم مقالنا ويحسم جدالنا منهـا قطع كانت من جدران قصر سرجون الاول اول ملوك الكلدانيين تمثل السفينة والكلك. ومنهـا ايضاً صورة ناتئة وهي قسم من قصر سنحاريب تمثل كلكاً كاملاً بعدّتهِ موسوقاً مواداً للبناء. وترى نفراً من الاشوريين جالسين على طرفيه وراء الحمل وبايديهم المقذاف يسيرون الهوينا في مياه دجلة والقرَب المنفوخة

١) Jules Oppert : *Expédition scientifique en Mésopotamie* T, I page 80-81

٢) G. Lejean : *Tour du monde* 1,d^e^ *semesire de* 1867 p. 46

ظاهرة للعين محيطة باطرافهِ الاربعة كما يصنعهُ الآن اهل الموصل وديار بكر الخ · وليس كما وصفهُ هيرودوتس بانهُ مدوَّر الشكل كالترس

٤ً (القفّة) ما ادراك ما القفّة · انها لأغرب من الكلك في الصنعة · واصلب منهُ في المنعة · يستلزم شغلها بعضًا من الذكاء · وقلما تجد اليوم في العراق من يدرك سرَّها ويعتني بامرها · الّا تلك السربة من الاهالي المحصورة عندهم معرفتها · وهم ورثوها عن اجدادهم حرصًا عليها لدوران دولاب معيشتهم عليها

ان القفّة سفط كبير الحجم مدوَّر الشكل مركَّب من قسمين: نسيج وقضبان رمان · فيأخذ القفّافون اولًا بحياكة النسيج من الخوص والحلفاء على هيئة نصف كرة ثم يخيطونها مع القضبان بخيوط غليظة متخذة من ليف التارجيل اي الجوز الهندي · وقبل خياطة القضبان بجدران القفّة الداخليّة يجعلونها على مثال الابرة اي ان طرفها الواحد دقيق والآخر غليظ ولا يزال يغلظ الطرف الواحد درجات كلما قرب من أعلى القفّة حتى يبلغ الغاية المطلوبة وهم يُعكسون وضعها بنوع ان القضيب الواحد يبعد عن الآخر مقدار سنتيمترين ويكون حجمها كحجم خنصر اليد · اما عدد القضبان فيبلغ نحوًا من ١٧٢ · وعند انتهائهم من الجمع بين القضبان والنسيج يطلونها بالقير داخلًا وخارجًا · ويكثرون منهُ على الخارج حتى يأتي عنها طبقة ذات سنتيمترين لكي تتمكَّن من ملاطمة امواج النهر وتدفع عن الراكبين فيها الاحداث المائيّة وتعرُّض السمك والكوسج الخ لها

ويبلغ قطر القفّة مترين وعلوّها عن سطح الماء خمسة وثمانين سنتيمترًا ومحيطها سبعة امتار ونصف · ومدّة شغلها ٢٥ يومًا · ووسعها خمسة عشر رجلًا · انما هذا مقياس القفّة الاعتياديّ المتوسّط الحجم · غير ان هذه المقادير تزيد او تنقص حسب الغاية التي تُرصد لها اذ منها ما تسع رجلًا واحدًا ومنها ما تسع ثلاثين او اربعين · واذا كانت القفّة كبيرة فالعراقيون يسمونها بالحصان

لا يوجد سكّان (دفّة) للقفّة كما للكلك ولا صار لها كما للسفينة · ولا يزيد ملاحوها على الواحد او الاثنين · واذا تركتها على حالها ساقتها المياه الجارية تزولًا نحو مصبّها · واذا أراد الراكب صعود النهر اضطرَّ ملّاحوها الى جرّها «بالصاري» وهو عندهم حبل منسوج من خوص النخل · واذا اراد الملّاح قطع النهر على عرضهِ استعان

حينئذٍ بمجذافهِ وهو عبارة عن قضيب من الخشب الجزل متوسّط الطول وفي احد طرفيهِ مسمرة لوحة اهليلجيّة الشكل ويسمونهُ هنا « بالغرّافة »

ووجود القفة في التاريخ عريق جدًّا. فهي والكلك في القدميَّـة سيَّان ويرتقي عهدها الى المئات الاولى من خلقة العالم. فهي اذن من بقايا اختراعات ما قبل الطوفان ولدينا على ذلك براهين شتى

جاء ذكر القفة في كلام اول ملوك الكلدانيين وهو سرجون الاوَّل قال في احدى العاديات: « سرجون الاوَّل. ملك قادر. ملك أكّد (Agadé) انا هو. والدتي حبلت بي بغير مباشرة والدي لما بينما كان عمي يعتو في البلاد وقد حبلت بي في مدينة ازوبيراني (Azupirani) الواقعة على شط الفرات. والدتي اصبحت حاملة وولدتني بالعالم في محل مخفي ووضعتني في قُفَّة حقيرة من الصفصاف مطلي قيرًا الخ... » (١. هذا الملك عاش نحو السنة ٣٨٠٠ ق م. وكان للمصريين اطلاع واسع في استعمال القفَّة والظاهر انهم اخذوها عن البابليين والاشوريين لانَّ مصر كما تفيدنا العاديَّات وقعت مرارًا عديدة بين ايديهم فاخذت ما اخذت عنهم من صنائع وعلوم وفنون الخ. واظهر اليوم المسيو دي مورغان والاب شَيل ان دولة العيلاميـــين وتمدنهم سبقت بكثير دولة المصريين وتمدنهم (٢

من ذلك انهُ لمَّا ولد موسى احتارت والدتهُ في امر اخفائـــهِ عن اوامر فرعون المشددة بقتل ذكور العبرانيـــين: « فاخذت لهُ سفطًا من بردي وطلتهُ بالحُمَر والزفت وجعلت الولد فيه... (سفر الخروج ٢ : ٣) ولد موسى نحو السنة ١٧٠٥ ق م

وبقيت هناك براهين شتى اذا احببت تنصيلهـــا فعليك بكتاب العلّامة مسپرو والجنرال شسني (٣

اذا وقفت اليوم على شط دجلة ببغداد ملأَتْ ابصارك القفف العديدة ماخرةً عباب

---

١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. IV p. 76

٢) J. de Morgan : *L'Elam et l'origine de l'invasion des Pasteurs dans la Vallée du Nil*, Alexandrie d'Egypte, 1862

٣) Maspero : *Histoire ancienne des peuples de l'orient : Assyriens et Chaldéens*; Chesney : *Expedition to the Euphrates* 1850, T. I.

النهر ليلاً ونهاراً بعدد النجوم التي في قبة السماء. ومما لا مراء فيهِ ان الاغلب من الناس يميل الى ركوبها دون سواها لعدم وجود الخطر فيها ولما يجدون فيها لنفوسهم انشراحاً وسكوناً. ولاجسامهم ارتياحاً وركوناً

اما عمر القفة. فقصير لا يزيد على عشرين سنة هذا اذا اعادوا عليها الطلاء بالقير مرة كل اربع سنوات اذ ان طبقة القير تتشقق من حرارة الشمس وتسلخها قوة المياه وتقشرها عن مكانها. والقسم الاكبر من الربح يجمعهُ ارباب القفة من وراء الخلق عند تعبيرهم النهر فاذا انقطع حبل الركاب أوسقوها بضائع كمثل البطيخ والطابوق والكلس وما شابه ذلك من المواد السهلة النقل ولا يقلّ يوماً دخل القفّاف عن الريال المجيدي في مواسم الشغل (ستأتي البقيَّة)

التيلوتُغْراف او ناقل الكتابة

نبذة للاب ر. ش. اليسوعي

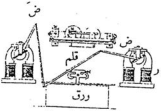
لا احد يجهل مبدأ التلغراف وكيف انَّ المغناطيس الكهربائي بتواصل مجاريهِ وانقطاعها يولّد جذباً او دفعاً يمكن استخدامهما لنقل الحركة الى النواحي القاصية. واذا نُقلت الحركة فمن البديه ان تُتَّخذ علامات اصطلاحيَّة للدلالة على المعاني فتجري بين الباعث والقابل المخابرات المتواصلة

لكنَّ التلغراف باهتزازهِ لا يرقم سوى نقط او خطوط او حروف منفردة ويمكنهُ ايضاً بحركاتهِ ان يجري على مينا كُتبت عليها حروف الهجاء. فيدل عليها ومن الحروف تتركَّب الالفاظ والمعاني. امَّا نقل الكتابة كما هي وكما يخطها الكاتب فلم يتوصَّل العلماء الى اكتشاف سرّها او بالحري لم يقفوا على طريقة سهلة لذلك لانَّ بعض ارباب الطبيعة كالاب كازلّي (Caselli) سنة ١٨٦٤ ثمَّ غراي (Gray) وفرسون (Pherson) كانوا اخترعوا أدوات لنقل الكتابة على صورة خطوط متقطّعة وبتحريك القلم بحركات متتالية مع استعمال زنبرك كزنبرك الساعة وأدوات مشتبكة. وكان المجرى الكهربائي اذا سال بلَّ ورقاً معدًّا لذلك بمحلول تدخل فيهِ الاملاح

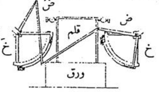
على انَّ كل هــذه الاكتشافات لم تفِ تماماً بالمطلوب فضلاً عن كثرة الادوات الداخلة في تركيبها واتخاذ اسلاك عديدة لنوال المرغوب

ولمَّا كانت أواخر شهر آذار من السنة الجارية قــدَّم المسيو ليمان (Lippmann) لجمعيَّة العلماء في باريس آلة جديدة تحلّ هذا المشكل وتزيل ما كان فيهِ من العراقيل بحيث يمكن الآن نقل الكتابة او الرسوم ايَّة كانت من محلّ الى آخر مهما كان بعيدًا لا تختلف عن اصلها ذرَّةً

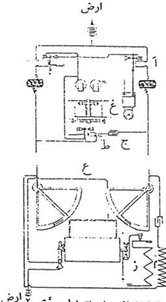
وقد اخترع هذه الآلة مهندس امركيّ اسمهُ رتشي (Ritchie) تلميذ المعلم غراي السابق ذكرهُ وقد توصَّل الى ان يجعــل القلم متبعاً في القابل لكل حركات الكاتب او المصوّر في الباعث فيقلّدهُ بحذقٍ عجيب بلا اهتزازات ولا تقطُّع البتة وقد دعا آلتهُ هذه تيلوتغراف (télautographe) اي الناقل للكتابة



الشكل ٣ قابل التيلوتغراف



الشكل ٢ باعث التيلوتغراف



الشكل ١ التيلوتغراف وادواتهِ الجوهريَّة

والآلة المذكورة تتركَّب من باعث (transmetteur) وقابل (récepteur) وسلكَين كاسلاك التليفون يجمعان بينهما (الشكل الاول)

فالباعث (ع) عبارة عن مكتب يجلس عليهِ الكاتب او المصوّر فاذا اخذ قلم الرصاص وضغط بهِ الورق (و) جرى بمجرَّد ذلك مجرًى كهربائي بواسطة الزرّ (ز) بين ملفّ رُهمكورف (م) وبطاريَّة محليَّة (ب). فتجري من ثمَّ الى القابل (ق) مجارٍ ثانوية فتبلغ آلة جامعة (condensateur) (ج) حتى تدرك الحطَّة (ط) دون ان تمسّ المقامين (اآ) لتعاكس الجاري. فحينئذٍ ينقطع المجرى الكهربائي المتولّد في المغناطيس (غ) فيجري هناك قلم معدنيّ بثقلهِ العادي ويضغط الورق كما يُضغط في الباعث

ولكي نزيد وصف هذه الآلة ايضاحًا لا بدَّ من بعض افادات تقرّب ادراكها الى فهم القرَّاء.

يعلم الكلُّ اننا اذا اخذنا في الكتابة لا نستطيع بلوغ ذلك الَّا بثلاث حركات: الاولى بان ننقل لتسطير السطر القلم على الورق من اليمين الى الشمال كما في الكتابة العربيَّة او من الشمال الى اليمين كما في الكتابة الاعجميَّة. الثانية بان تضغط يدُنا على الورق بينما تتنقَّل لكتابة كلمة بعد اخرى. الثالثة ان يرتفع الورق بتوالي الاسطر

فهذه الحركات الثلاث لا بدَّ من تكرُّرها في الآلة القابلة. ولذلك فان المسيو رتشي قد ضمَّ الى القلم في الباعث قضيبين من المعدن يستندان الى آلتين تنظّمان حركات الكهرباء (rhéostats) والقضيبان (ض ضَ) ملازمان لبعضهما ولكلّ منهما زاوية مختلفة لتغيير قوى الجاري الكهربائيَّة قبل بلوغها الى القابل. ولكل قضيب مجرى كهربائي يجري بسلكهِ الخاصّ (الشكل الثاني)

هذا وللقابل جهاز شبيه بجهاز الباعث (الشكل ٣) فانَّ لهُ قلمًا متَّصلًا بقضيبَين كما في الباعث. فاذا ورد الجريان الكهربائيَّان من الباعث الى غلفانومتر من طرز ارسنفال (ر) تحرَّك الغلفانومتر وبحركتهِ ينحني ويضغط القضيبَين فيُجري فيهما كل الحركات التي صدرت في الباعث ويمثّل القلم المعدني المنوط بهما كل الرسوم والكتابات التي تحدث فيهِ

وقد قلنا انهُ ينبغي للقلم في القابل ان يضغط الورق او يفارقهُ على مقتضى اللزوم. فلنوال هذه الغاية قد جُعل الورق في الباعث على لوحة مَرِنة فاذا ضغطها القلم

سالت الكهرباء وجرت مجاري بملف رُهمكورف الى ساكنين متماكسين لا فعل لهما في القابل على الغالفانومتر ومهما يحرّكان هناك القلم المعدني على مثال جزيه في الباعث وينقطع العمل عند ابتعاد القلم في الباعث وانقطاع المجرى

وقد قلنا اخيرًا انهُ يقتضي للورق ان يرتفع ويتحرّك. وآلة رتشي تأتي بالامر على احسن منوال فانّها ليس فقط تحرّك الورق في القابل بل تحمل القلم الى دواة ليجدّد حبره. ولذلك يجب على الكاتب اذا انتهى من كتابة سطر ان يضغط ضغطًا قويًّا على القلم فضغطهُ هذا يحرّك مخلاً (خ خ). والمخل يرفع الورق بنحو ١٥ ملمترًا ويجري مجرى كهربائيًا يبلغ الى القابل فيصنع هناك ما صنعهُ في الباعث من تقديم الورق وتهيئته للكتابة. وعلى هذه الصورة ترى انّ كلّ ما يجري في الباعث يتمّ ايضًا في القابل دون اختلاف فيقلد هذا حركات ذاك تمامًا وما رُسم في الباعث يُرسم في القابل كأنهُ صورتهُ بل كأنهُ هو هو. اما الكتابة فهي مشرقة ظاهرة لا اثر فيها للاهتزازات ولا تشويه مطلقًا وكذلك الرسوم والتصاوير والعلامات الموسيقيّة

ومن فوائد هذا الاختراع انهُ يمكن من تنفيذ الرسائل الى الاصحاب والعمّال بخطّ يد الكاتب وذلك باسرع وقت بدلًا من مكاتيب البريد. والحق يقال انّ هذا الاكتشاف يُعدّ مع التلغراف والتليفون من اعظم عجائب عصرنا. سبحان الله مودع كنوز اسراره في الطبيعة ومرشد العقول النيّرة الى معرفتها لمنفعة الانام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

على ان بعض الناس يأبون تصديق امر كهذا ويلحقونهُ بالاحاديث والقصص الخرافية التي لا حقيقة لها ولكن حكمهم غير ملاقٍ للواقع لان غرائز البهائم وحواسّها قد تنمو نموًّا عجيبًا وحتى الآن لا يعرف العلماء مع كل ما قاموا بهِ من التجارب والامتحانات عند اي حدّ يقف هذا النموّ الذي قد يزيد زيادة عظيمة في بعض الاوقات بظواهر الفهم فينخدع بهِ المراقب اذا كان غير مدقق. ولقد اصاب قدماء العرب في اعتقادهم ان

البهائم تفطن الى كثير من الاشياء التي تغيب عن حواس الانسان الضعيفة ولذلك كانوا في مواقع الريب والشك يستسلمون الى نياقهم فيتركونها تجري على هواها. وقد ذكر التاريخ من هذا القبيل روايات هي في الحقيقة عجيبة (١

على ان مالكاً بدون ان ينتبه الى هذه التعليلات.كلما كان قد اتخذ عادةً بان يترك حصانهُ « الريح » يجري على هواهُ وقطُّ لم يعرض لهُ من هذه العادة ما يحملهُ على الندم والاسف كما قد تقدم تقرير ذلك

ويوم كانا سائرين كلاهما على طريق طرابلس بين اهدن وأيطو كان « الريح » يمشي الهوينا بلا نشاط ولا همة فكان يكبو عند كل خطوة كأنهُ يأسف على السلوك في تلك الطريق مع انهُ كان من قبل ذلك يعدو كالغزالة في شعاب لبنان ومسالكه الوعرة وكان بين دقيقة وأخرى يأتي من الحركات ما يدلُّ على رغبتهِ في الرجوع الى بشرّاي او يرسل صهيلاً ينبئ بشكواه من الحالة التي هو فيها كما تفعل الفرس المُرضع اذا حُبس عنها فلوها

ولا ريب ان ما كان يبدو منهُ لم يكن الداعي اليهِ التعب واللغوب لانَّ الحاجب المذكور كان قـد انقطع بحكم الضرورة عن الاسفار بسبب تعطل الاعمال في غياب الامير رزق الله

امَّا مالك فلم يفهم شيئاً من الدواعي الحاملة حصانهُ على تلك المشية الغير المألوفة وقد التزم مراراً ان يشدَّ لهُ اللجام وينتهرهُ تارةً بصوتهِ وتارةً بحركاتهِ

وكان هو ايضاً دون ان يعلم السبب يشعر بارتعاج بال فكان قصر القليعة وجبل اللكام بعيدين عن لبنان وكذلك الاخبار القائمة عن جوسلين كانت قد انتشرت في كل البلاد وشاع بين اللبنانيين جميعاً انهُ قد نصب في ساحة قصره مشنقة دائمة وفي كل يوم يعلّق عليها واحداً فاخذ مالك يقول في نفسهِ : انَّ جوسلين الذي اختطف الاب يوحنّا واسلم دير القديسة تقلا للحريق ليس من شأنهِ ان يحترم حياة حاجب حقير نظيري

وبينا هو يُجيل هذه الافكار في ذهنهِ لاهياً بها طفر « الريح » طفرةً قويَّةً اعادت اليهِ انتباههُ فرأى انَّ غابة الزيتون التابعة لقرية زغرتا ما زالت بعيدةً وانهُ قد صار الى السهل على ضفَّتي نهر جميل يسقي عدداً من الجنائن والبساتين بسقت فيها اشجار النخيل

(١) راجع كتاب الاغاني ج ١٣ ص ١١ و ج ١٥ ص ٩٦ و ١٣٢ والازرقي وابن هشام الخ

متمايلة برؤوسها المرتفعة عجباً وتيهاً فوق أغراس البرتقال والتوت والزيتون. والتفت من هناك فلاحت لهُ القلعة والابراج المبنيّة عند أسوار طرابلس وبان لهُ انهُ بعد مسيرة نصف ساعة يدرك المدينة. فتذكر وتشنّف وصايا الامير فشدّ اللجام بعنف ليغيّر وجهة سيره ويحمل الريح على سلوك الطريق المؤدية الى جبل عكار غير ان الحصان أبى لاول مرة طاعة فارسه واصرّ على المسير في طريق طرابلس او طريق بشرّاي فانتهرهُ مالك فلم يُجدِ الانتهارُ نفعاً فحاول استرضاءهُ بالكلام واخذ يخاطبهُ كما يخاطب رجلاً عاقلاً وهو يقول:

« ايها الريح رفيقي الامين انا عارف حقّ معرفة انّ السفر الى جبل اللكام ليس من ذوقك كما انهُ ليس من ذوقي ايضاً. ولكن يجب ان تعلم باني لست حرّاً في ما اعمل وعليّ ان أطيع أوامر المقدم فأسأل منك اذاً ان تسمح لي بابغائها. اذهبي يا غزالتي ولا تخشي مكروهاً لا عليك ولا على فارسك ». قال هذا واخذ يُمِرّ يدهُ بلطف على عُنق الريح

امَّا الريح فحنى عنقهُ وظهر منهُ انهُ تجلّد على ما ينفر منهُ ومشى في سهل طرابلس سالكاً الطريق الموصلة الى جبل عكار وبعد ان استراح مالك بضع ساعات في عَرْقة تغلغل في الجبل

. . . .

وكانت على سطح الجبل فوق النهر الكبير قرية اسمها قَلَيس وبالقرب منها فوق رابية صغيرة مشرفة أودية عميقة قصر قديم من بناء الفرسان المعروفين بالاسبيتاريّة قد انفصل عن قليس بخندق منقور في الصخر. وكان القصر المذكور يشبه قلعةً وديراً معاً وهناك سور عظيم مشيّد بقطع كبيرة من الحجارة يحيط بالاكمة الشاهقة التي قام القصر فوقها ويضمّ ابنية ضخمة مع كنيستين لم تزل آثارهما منظورة للان (١ وكان فوارس الاسبيتاريّة قد زايلوا تلك الناحية من زمان مديد غير انهُ بقي على المدافن والاضرحة في كبرى الكنيستين المذكورتين حجارة كثيرة حاملة لتذكاراتهم. وكانت قليس موقعاً مهماً اولاً لانهُ يشرف على وادي النهر الكبير وثانياً لانهُ من جملة الطرق الموصلة

١) دوسو. ورحلتنا الى بلاد النصيريّة

من طرابلس الى حمص وحماة ولهذا توجهت العناية في الزمان القديم الى تحصين هذا المركز الذي جعلته الطبيعة على نوع ما منيعاً لا يُرام

ولمّا اقام الفوارس الاسبيتاريّة في قلعة فليس وجدوا هناك مزاراً شهيراً حاوياً احدى صور العذراء القديسة التي كان الجميع يتواردون لاكرامها افواجاً من كل انحاء جبل عكّار وجبل اللكام (١. وكان الزائرون لها من النصيريّة لا يقلّون عن زائريها من المسيحيين. فلمّا حلّ الاسبيتاريّة هناك وامنت السبل بسطوتهم تزايد عدد الزائرين كثرةً وفي القرن الخامس عشر كانوا يتسابقون اليه تسابقاً غير حافلين بشيء من الحروب والحوادث التي ثار في تلك الناحية ثائرها فكنت تراهم متوافدين من جميع الاماكن وليس لهم غرض سوى زيارة «سيدة القلعة»

وكانت قلعة فليس في ذلك العهد بين يدي سيد لبناني الاصل تابع للامير رزق الله ونظراً لقلة العناية بصيانتها اخذت تبين عليها دلائل القدميّة والعتق كسائر القلاع التي ترتقي الى زمان الصليبيين فكانت شرفات السور في كثير من المواضع قد تهدمت وخربت واجتمعت الردوم والحجارة وغيرها من الانقاض في الخندق الفاصل للقلعة عن القرية. الّا انّ هذه القلعة مع ما اصابها من الخراب ما زالت وتنفك صالحة لان تكون مركز عضد ونجدة للشعب المسيحي العديد المقيم في جوارها بقرى الدبابيّة وكفرنون والرماح ومُنجز وعُزَيْر وغيرها (٢ فبالاعتماد عليها كان هؤلاء يردّون اعتداءات النصيريّة الذين اجبرتهم الحال على النزوح الى شمالي النهر الكبير فلمّا كانوا قبلاً اسياداً لجبل عكّار مطلقي اليد فيه اخذوا الآن يحاولون ان يعودوا الى املاكهم القديمة في الناحية الجنوبيّة

ولنعد الآن الى اخبار مالك فنقول انهُ لمّا وصل الى قلعة فليس استقبلهُ صاحبها بغاية الهشاشة والايناس فكان اول ما اهتمّ بهِ مالك المذكور انهُ اخذ يستفهمهُ عن أحوال جوسلين ليعلم هل تنجح مهمّتهُ الصعبة التي أُرسل في شأنها ام لا فاجابهُ صاحب القلعة بما قوّى املهُ بالنجاح قائلاً:

« لا ريب ان جوسلين لا يودّ اصلاً ان يأتي الى بشرّاي لكي يؤدي حساباً عن

١) المشرق ٣: ٤٥٥ ; ٥٦٦

٢) وهذه القرى مذكورة في تأليفات وسجلّات القرون المتوسطة

سلوكه. غير انَّه لا يترجَّح في بال احد انهُ يجسر على ان يخالف جهارًا أوامر المقدم رزق الله لان حريقهُ لدير حصن سليمان صيَّر مركزهُ في القليعة حرجًا وهيَّج عليه المسيحيين والنصيريَّة والاسماعيليَّة ايضًا بما ان الاب يوحنا كان مكرَّمًا ومعززًا عند الجميع على اختلاف النِحَل. ومذ علم الناس برجوع الامير رزق الله ظافرًا منصورًا أخذ اتباع جوسلين يتخلَّون عنهُ من تلقاء انفسهم حتى صار اشبه بالمحصور في قصره حيث لا يحرسهُ سوى زمرة من موتمنيه الذين شاركوهُ في كل ما امرهم بارتكابه من حوادث السلب والقتل »

— أتظنُّ انهُ يرضى بان يرافقني الى بشراي

— لا استطيع تأكيد الامر. ولكني أعرف حق معرفة ان جوسلين رجل لئيم جبان ولا اظنهُ الآن وقد اكفهرَّت عليه الوجوه واظلمت لهُ الدنيا يجسر على ان يلحق سوءا برسول الامير رزق الله. ومع كل هذا فانا عامد ان أرسل معك خفرًا من الجند

— لا فائدة من هذا في مهمة سلميَّة محضة بل الاحسن ان أسافر وحدي وسطوة مولاي وسيدي هي بعد الله تعالى افضل واقٍ لي. واذا مضت اربعة ايام ولم اعد الى قلمة فليس فارجو منك ان تتكرَّم بتنبيه المقدم رزق الله وتسرج شمعتين على هيكل السيدة. والآن اودعك على امل الملتقى قريبًا فادعُ لي بالنجاح

وما كاد يتمّ هذا الكلام حتى امتطى متن « الريح ». فاظهر الحصان في بادئ الامر بعض المقاومة غير انهُ ذلَّ اخيرًا لفارسه وترل به في الشِعْب الضيق المؤدي الى النهر الكبير. وكان سيد قلمة فليس قد ارتقى الى برج وجعل يرقبهُ ببصره فما مضى عليه نصف ساعة حتى شاهدهُ طالعًا من الناحية الثانية من الوادي وسائرًا نحو قريتي عُزَير وحالات في وجهة برج صافيتا فندم على كونه تركهُ يذهب وحدهُ وخاف عليه الشرَّ لان جوسلين قد طالما برهن على لؤمه اذا قدر. وسنرى في الفصول التابعة اي شيء أعدَّ لهُ في طي الغيب

١٤

حالما انتهى الى جبل اللكام خبر رجوع الامير رزق الله منتصرًا ظافرًا جدَّ صاحب قصر القليعة في مزيد تحصينه وتقوية استحكاماته خوفًا من امر مفاجئ يأتيه فامر باخراج جميع ما في اقبية القصر من آلات الحرب القديمة مثل المجانيق والكبوش